
TOSHIBA

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة الجزائر

معهد الفلسفة

الموضوع :

مفهوم العنف في فكر فرانتز فانون وعلاقته بالثورة الجزائرية

بحث لنيل شهادة دبلوم الدراسات المعمقة

دراسة تحليلية نقدية

اعداد الطالب :
عثمان محمود

تحت اشراف الاستاذ :
الدكتور أبوعمران الشيخ

العام الدراسي : 1987 ــ 1988

بسم الله الرحمن الرحيم

الى زوجتي ....

و الى أستاذي الفاضل " أبو سمران الشيخ"

والذي لم يدخر جهدا في توجيهي و تتبع خطوات هذا العمل

المتواضع ....

و الى الذين مدوا لي يد المساعدة في انجاز هذا

البحث و أخص بالذكر " بلحوسين موسى".

المقدمة

المقدمة

لم يكن " فانون" FANON "، أول من أكتشف التناحر بين الاغنياء و الفقراء و ليس هو الذي أكتشف الصراع الطبقي كسياق دائم لحركة التاريخ و تطوره، فالصراع كان و لا يزال صفة من صفات المجتمع البشري سواء في مرحلته الطبيعية أو السياسية كما يبرهن على ذلك علم الاجتماع البشري البدائي.

و من مفارقات قانون الصراع، أصبح لا يقتصر على الطبقة البورجوازية و الطبقة البروليتارية، و خاصة اذا كان الامر يتعلق بدول العالم الثالث.

و يعتبر " فانون" نقطة التحول النوعي في تغيير مفهوم الصراع من صراع طبقي الى صراع بين المستعمر و المستعمر، و تتحول الثنائية الاستغلالية الى ثنائية استعمارية، حيث تتغير مقولة الثورة لتأخذ معنى أشمل، و هذا يعني اعادة النظر في كل أساليب الثورة المتوارثة.

و هنا يفرض " العنف " نفسه عند " فانون" كأدات للعمل الثوري. و لا نريد في هذه المقدمة العجلى، أن نلم بفكر " فانون" السياسي بقدر ما نريد ابراز الفكرة الاساسية التي يدور حولها كتاب " معذبو الارض" و الذي يعتبر جهده الجاهد في تنظير فكره السياسي بصفة عامة.

ان " فانون " يرفض كل بديل للعنف، لانه هو السبيل الوحيد للقضاء على الاستعمار، فالعالم الاستعماري قائم بفضل العنف، و لا يمكن،

أن يخضع الا لعنف هامشي، و بذلك يستبعد " فانون" الحوار السياسي، لانه عاجز على النهوض بالدور التاريخي الذي ينهض به العنف في عملية التحرر، و من هذه الزاوية يصبح العنف في منظومته الفكرية الوسيلة الوحيدة لانتزاع الاستقلال.

و هنا يوجه " فانون" كامل اعتباره لحدود " العفوية" و عظمتها كما يبين ضرورة التنظيم و أخطاره الناجمة عنه، أين لا تتميز فيه الضرورات عن بعضها البعض.

لكن هل فعلا يشفى المستعمر من عصاب الاستعمار بطرد المستعمر بالسلاح ؟

اشكالية هذا السوءال الفلسفية هي التي تبدو جديرة بالدراسة لدي، عكفت على تحليلها من خلال مقالاته و كتاباته سواء تلك التي ألفها قبل اندماجه في الثورة الجزائرية أو بعدها.

و المنهجية التي تتبعتها، تجمع بين التحليل و النقد اذا اقتضت الضرورة ذلك، مع الادلاء برأينا اذا كان لنا في ذلك رأي.

ينقسم البحث الى ثلاثة فصول أساسية، يتناول الفصل الاول مواقف " فانون" السياسية من الحركة الزنجية و الحضارة الاوربية بقيمها و فنونها، و لم يكن ذلك ممكنا، دون تحديد بعض العوامل التاريخية و الوقوف عند كل واحد منها، و أنتهى الفصل بتبيان أسباب رفض " فانون" للحركة الزنجية كوسيلة للقضاء على العنصرية.

و يتناول الفصل الثاني مفهوم العنف من الوجهتين للغويـــــــــة و الفلسفية ، كما يعالج فكرة العنف الثوري باعتباره - رد فعل - لعنف المعمـــــر الامر الذي دعي الى البحث عن مميزات هذا العنف و أهدافه ،و أستنتجت أن العنف هو التطبيق الصحيح لمفهوم الثورة ، باعتبارها تهدف الى تغيير الواقع الانساني.

و قادني هذا التحليل الوقوف عند الارهاصات النفسية المترتبة مـــــن وراء العنف كوسيلة من وسائل التطهير و هذا في مرحلته التلقائية كمرحلة تفتقـــر للروءية السياسية الواضحـــــة ، و الانتقال الى ما هو أفضل منه أي العنف الثوري الذي يتم بعد تسييس الجماهير الريفية ، و أنتهيت الى أن " العنف" فانـــــون هو بمثابة وسيلة من و سائل التحرر و التغير الذي يرنو الى خلق انسان جديد و مجتمع أفضل، و ذلك بعد معاينة مواقفه من الطبقات الاجتماعية .

و يعالج الفصل الثالث و الاخير، طبيعة التأثير الذي أحدثته الثورة الجزائرية في فكر " فانون" و تمكنت من استجلاء و هذا على المستوى النظري الاركان الاساسية التى أستوحي منها فكرة العنف، و في مرحلة سابقة ، عالجت مواقفه من اليسار الفرنسي بفروعه المختلفـــــة .

و أنتهيت بربط تطور " فانون" الفكري، بتقلبات الثورة الجزائريـــــة سياسيا و اجتماعيا ، الذي أخذ شكل الوصف و المتابعة ، و اتضح في الاخير أن الثورة الجزائرية كانت السبب المباشر في اختيارات " فانون" السياسية .

و قد تعرضت لعدة مشاكل أثناء اعداد البحث تتمثل بالدرجـــــــة الاولى في عدم وجود مراجع باللغة العربية التى بدونها لا يمكن اعادة وضع " فانون" في اطاره التاريخي الخاص به ، و المراجع التى اعتمدنا عليها جلها كتابـــــــات أجنبية تنطلق من أفكـــــار مسبقـــــة ، ممـــــا طـــــرح مشكلـــــــــــــة الترجمـــــة التى اخذت منا الكثيـــــر .

أ) تـــاريخ الحركـــة الزنجيـــــة :

اعتاد بعض المفكرين، منذ نهاية القرن التاسع عشر، على المطالبـــــة بالعودة الى الاصول الافريقية، و قبل تحليل مميزات الشخصية الافريقية التي تبلورت في الحركة الزنجية، يبدو أنه من اللائق أن نحدد و لو في سطور موجزة - الظـــروف السياسية - التاريخية التي ساعدت على ظهور و تطور هذه الحركة.

قصة السود، قصة طويلة، تمتد فصولها الدامية على مدى أربعة قرون طويلـة حيث نزل السود الافريقيون أوربا و أمريكا ليبيعهم السادة البيض في سوق الرقيـــق و تحول فيها العالم الجديد من جزر مهجورة نائية الى مجتمع ثري، و مع تطور هـــذا المجتمع، ظل هؤلاء الزنوج الذين انقطع الاتصال قسرا بينهم و بين تاريخهـــم و حضارتهم و حتى أسمائهم القديمة - يعيشون غرباء، ضائعين في قلب مجتمـــع ينظر اليهم بازدراء، و يضعهم في أدنى درجات السلم الاقتصادي و الاجتماعي.

لهذا، كانت الحرب العالمية الاولى، منعطفا في التاريخ، ليس بالنسبـة لاوربا و أمريكا فحسب، بل و لافريقيا أيضا، و التنازلات السياسية التي نجمت عـــن هذه الازمة مكنت القارة السوداء من أن تشهد تطورا ملحوظا للحركة السياسيـــة و النقابية و الطلابية (1)، هذا من جهة، و من جهة أخرى، أدت الحـــرب العالمية الثانية الى تخلي الافارقة عن مواقفهم التقليدية، و أدركوا بأن خاصيـة الاستعمار الوحيدة هي أنه يظهر دائما بمظهر الثبات و التصلب من أجل أن يستمـر في دربه ألا و هو درب العبودية و المسخ للشخصية الافريقيـة.

(1) [illegible] 1952, p 172.

و على ضوء الحرب العالمية الثانية، وجد الرجل الاسود نفسه أسيـــــر الحضارة الغربية بقيمها و ثقافتها، و يمكن أن نجد هذه الظاهرة في كل المستعمرات أين يعمد المستعمر على اقتلاع الشعوب ثقافيا حتى يعزز وجوده ، و بقاءه داخلها.

و هكذا ، فالشعور بالإذلال و الاحتقار لدى النخبة الافريقية و الناجم عن الاستيلاب، جاء نتيجة لطمس الثقافة الافريقية الزنجية عن طريق سياســـــة الادماج الثقافي و التمييز العنصري الذي كان يعانيه الزنجي الاروبي (1)، و حتـــى من الناحية القانونية يعتبر السود أروبيين أو أمريكيين، لكن أصبح من الواضـــــح و بصورة متزايدة أن أروبا، أخذت تتبلور في شكل أمتيـــــن :

أحداهما للبيض و الاخرى للسود، و كان لا بد من البحث عن غطاء فلسفي لهذا الواقع الاستغلالي و لهذه النظرة العنصرية التي تتعالى على الانســـــــان الاسود بحجة ((أنه كسول و غير قادر على العمل في عالم الرجل الابيض و لهـــــذا يعيش متخلفا)) (2) ، هذا هو التفسير الاخلاقي الذي يقدمه المستغلون تبريــــــرا لعنصريتهم.

لكن خلف عنصرية البيض المقيمة، تكمن الحقائق الاقتصادية (3) ، فالتفرقة العنصرية هي وسيلة أساسية من وسائل جني الارباح و تكديس الثـــــروات ـ ثم اعادة استثمارها على أكتاف الرجل الاسود.

و يقودنا هذا بالضرورة الى مناقشة موقف العمال البيض من قضيـــــــة السود الاروبيين و الامريكيين، فمن الغريب أن أكثر الفئات عنصرية و عـــــــداءا

---

(1) LILYAN KESTELOOT, ANTHOLOGIE NEGRO- AFRICAINE, COL MARABOUT VERVIERS, 1978, 1978, P8.

(2) LILYAN KESTELOOT, LES ECRIVAINS NOIRS DE LANGUE FRANCAISE , NAISSANCE D'UNE LITTERATURE 46me ED. EDITION DE L'INSTITUT DE SOCIOLOGIE, UNIVERSITE LIBRE DE BRUXELLES, 1971, P 120.

(3) FRANTZ FANON, PEAU NOIR , MASQUES BLANCS, COL POINT, ED. SEUIL PARIS, 1975, P8.

للسود في المجتمع الاروبي و حتى الامريكي، هم العمال الفقراء و الطبقـــــــات الكادحة المنهكة بصفة عامة (1) و مرد ذلك أن البورجوازية الاروبية الكبيرة تغذي هذا العداء العنصري بوسائل مختلفة ، فاضطهاد الزنوج و احتقارهم يساعد الفقـــراء البيض نفسيا على تفريغ مرارتهم و حقدهم على المجتمع الذي يدفعهم باستمـــرار الى عالم غير مضمون يهددهم بشبح"البطالة و التسكع و الجريمة ، فيصبح الســـود موضوعا دائما لحقدهم و شيئا أدنى يحسون ازاءه بالتفوق الذي لا يستشعرونـــه تجاه أي شيء آخر ، لذا يقول " ليون تـــــروتسكي "LEON TROTSKY " عن القومية السوداء : " ان الانقسام بين العمال السود و العمال البيض لا يمكـــن معالجته حتى ينضم العمال البيض الى العمال السود في نضال مشترك و بدون ذلـك لا يستطيع السود أن ينظروا الى البيض على أنهم أصدقاء " . (2)

ان المجتمع الابيض برمته ، يشترك بكل طبقاته و تنظيماته في استغلال الملونين و يرفض الاعتراف بحقيقة المشاعر العنصرية لدى العمال البيض، و ازاء هذا الرفض من المجتمع الابيض للزنوج و اصراره على احتقار انسانيتهم و استغلالهم ، كـــان لابد للملونين أن يوءسسوا حركة مستقلة ، قائمة على أساس اللون و المتعصبة أحيانـا كما سيتم تبيان ذلك ضد البيض.

و بالفعل ، هذا الحقد المشروع على العنصرية ، هو الذي مهد لظهـــور حركات ثورية ألتفت حولها النخبة الافريقية في أروبا و أمريكـــــــــــا

---

(1) فريدة النقاش ، السود و العنف في أمريكا ، مجلة الاداب البيروتية عدد جويلية 1971 ص 66 .

(2) CITE PAR LILYAN KESTELOOT, ANTHOLOGIE NEGRO-AFRICAINE OP CT,P34.

، و بعض المفكريين الذين يدافعون عن القيم الزنجية منهـــا :

1) الحركـــة الزنجيـــة في الولايات المتحدة الامريكيـــة :

يقول " ماركوس جرجي MARCUS GARVEY " ، و هو واحد من أقطـــاب التيار الزنجي في الولايات المتحدة الامريكية الذي برز مع بداية هذا القـــرن " نحن أحفاد شعب طالما عاني و ما أكثر ما تألم ، و لكنه الآن قد صمم على أن يضع حدا لآلامه ، اننا منذ هذه اللحظة سنوحد الاربعمائة مليون زنجي الموجودين في هذا العالم في منظمة واحدة لنرفع علم الحرية في سماء القارة الافريقية ، فاذا كانـــت أروبا للاروبيين فان افريقيا ستكون موطنا للشعوب السوداء " (1)، و هكذا نلاحـــظ اذا كان البيض في نظر " ماركوس جرفي " يوءمنون بأنهم من جنس نقي، فان السود يوءمنون بأنهم من سلالة نقيـــة .

و على اثر هذا النداء، نشأت عام (1930م) حركة المسلمين السود تمجـــد العرق و السلالة و تزعم هذه الحركة " مالكوم أكس MALCOM AUX" فأنشـــأت الجوامع و المدارس الخاصة بالمسلمين السود، و كان موقفهم هو الرفض للمجتمـــع الامريكي بهياكله الثقافية و القانونية (2).

و في بداية الخمسينات، لم يعد هذا التيار هو التيار الاساسي في حركـــة الزنوج، اذ كان هناك تيار آخر قديم العهد، أخذ ينمو و يتعارض معه، هو تيار النضال السلمي و اللاعنف بزعامة " مارتن لوثر كنغ MARTIN LUTHER KING " و يـــرى هوءلاء، بأنهم جزء من الحضارة و المجتمع الامريكي، و عليهم العمل من خلال القوانيـــن و التشريعات بأسلوب الاحتجاج السلمي من أجل الحصول على المساواة الكاملـــة بين البيض و السود، و هدفهم النهائي هو اعتراف الرجل الابيض بانسانيتهم (1).

---

1) فـــريدة النقـــاش، السود والعنـــف في أمريكـــا ، ص 66 .

(2) LILYAN KESTELOOT, les ecrivains noirs de langue Française, op ct, P 63 et suivantes.

أما التيار الثالث، فهو تيار الثورة المسلحة و العنف الاسود في مواجهة القهر الابيض، و يدعو الى السلطة السوداء، أي توصل السود بنضالهم المسلح الى حكم أنفسهم بأنفسهم في المناطق التي يشكلون فيها الاغلبية الساحقة داخل الولايات المتحدة الامريكية (2)، هذا التيار، هو الذي يكسب يوما بعد يوم أرضا بين ملايين الزنوج. ..

2) الحركة الزنجية في أوربا :

بدأت هذه الحركة، بظهور مجلة صغيرة الحجم في " باريز PARIS " سنة (1932م)، كانت بمثابة الانطلاقة الرسمية للادب الزنجي الناطق باللغة الفرنسية، و كان يشرف على اصدارها طلبة مارتنيكيون، و كانت المجلة تحمل اسم " الدفاع الشرعي LEGITIME DEFENSE " بيد أنه لم يصدر منها الا عددا واحدا بسبب الضغوط السياسية التي كان يعاني منها هؤلاء الطلبة من السلطات الفرنسية، و رغم ذلك، أقدموا سنة (1934م)، على تأسيس صحيفة أسموها " الطالب الزنجي L'ETUDIANT NOIR " و التي كان لها الفضل في جمع شمل الطلبة الزنوج بباريز، و بفضل هذا الاهتمام الجماعي و ادراك الطلبة لمصالحهم، قدر للصحيفة أن تعيش.

---

(1) LILYAN KESTELOOT, Anthologie Négro-Africaine, op cit, P 576

(2) Idem, P 20 et suivantes.

و قد سارت صحيفة " الطالب الزنجي" على الدرب الذي سلكته مجلـــــة " الدفاع الشرعي " ، اذ عكفت صحيفة " الطالب الزنجي " على نقد سياسة الادماج الثقافي و دعت الزنوج المستعمرين الى حرية الابداع بعيدا عن كل تقليد غربي، و بالتدريج، تبين للصحيفة أن الوسيلة الوحيدة التي بواسطتها يتم التحرر مـــن جبروت الادماج، هو العودة الى الاصول الافريقية (1).

و قد أثرت صحيفة " الطالب الزنجي" على المثقفين ، افريقيين كانوا أم أنتيليين، و لعل هذا التأثير يعود لكون الجريدة كانت تديرها و تشرف عليهـــا ثلاث شخصيات فكرية بارزة و هـــــي :

- " ايمي سزيـــــر AIMÉ CÉSAIRE " (2) المارتنيكي
- " ليون داماس LÉON DAMAS " (3) الغوياني
- " ليوبولد سدار سنغور LÉOPOLD SÉDAR SENGHOR " (4) السنيغالي

و لفظ الزنجية ، اصطلاح مستحدث، استعمله ، " ايمي سزير " لاول مـــــرة و من ضمن التعاريف التي أعطاها " سزير " للزنجية :

---

(1) LILYAN KESTELOOT, les écrivains noirs de langue française op.cit.P.91

(2) - " ايمي ســزيـر " A.CÉSAIRE ، شاعر ما رتنيكي ، ولد في 25 جوان 1913 ، يعتبر مؤسس الحركة الزنجية من أهم مؤلفاته " كراس العودة الــى البلـــد "

(3) " ليون داماس L.DAMAS ، شاعر غوياني ، ولد في 28 مارس 1912 ، ويعتبر ليون د اماس " من الذين ساهموا في تأسيس الحركة الزنجية في فرنسا مع " ايمي سزير " وله عدة مؤلفات و دواوين شعرية .

(4) " ليوبولو سدار " سنغور L.S. SENGHOR ، ولد في 09 أكتوبر 1906 في السنغال من أهم مــؤلفـــاته : " ديوان الشعر الجديد الزنجي و الملغاشـــي " .

الزنجية هي بمثابة - اعتراف بسيط بوجود الزنجي، و الرضا بهذا الوجود و بمصيرنا كزنوج و بتاريخنا و ثقافتنا" (1).

و في مقال " انتيليون و أفارقة " ANTILLAIS ET AFRICAINS " أعاد "فانون" نقل الصدمة التي أثارها موقف " سزير" قائلا : " لاول مرة نشاهد أستاذ ثانوية جديرا بالاحترام يقول للمجتمع الانتيلي : أنه جميل و طيب أن يكون الانسان زنجيا" (2) و قد صب " اتيين ليرو " ETIENNE LERO " رئيس تحرير مجلة " الدفاع الشرعي " LEGITIME DEFENSE " كل جهوده و اهتماماته على تبيان تناقضات المجتمع الانتيلي الذي عرض لهم ثقافة مزيفة و مثيرة للسخرية (3) ، و رغم هذا الاختلاف العنصري و الثقافي ، لم يظهر لهم بمثابة عائق معنوي أو عاهة طبيعية ، بل حافزا للتأكيد على أصولهم الافريقة ، و لهذا أوصى " اتين ليرو" بنهضة أدبية أنتيلية تستند الى الشيوعية و السريالية كتيارين فلسفيين (4) كما تبين لصحيفة " الطالب الزنجي" أن هذه النهضة لا تتم الا اذا مست كل العالم الثقافي الزنجي عن طريق التطلع الى الاصول الافريقة التي هي مصدر القيم الزنجية دون الاستناد الى السريالية و الشوعية .

و اذا كان " سزير " و"دماس" يكافحان للخروج من دوامة الادماج الثقافي فان " سنغور" ظهر كداع للعودة الى الاصول الافريقة ، لانه قدم التراث الافريقي كبديل للخروج من لامعقولية الثقافة الاوربية ، و المعرقة النظرية التي كان يمتلكها عن الثقافة الافريقية ، مكنته من اعادة توجيه أنظار الطلبة الزنوج الى مسقط

رأسه ...

---

(1) ENTRTIEN DE LILYAN KESTELOOT, AVEC AIME CESAIR VOIS LILYAN-KESTELOOT, LES ECRIVAINS NOIRS DE LANGUE FRANCAISE OPCT, P 113

(2) FRANTZ FANON, POUR LA REVOLUTION AFRICAINNE, MASPERO, PARIS, 26me EDITION, 1975, P 29.

(3) LILYAN KESTELOOT, LES ECRIVAINS NOIRS DE LANGUE FRANCAISE OP CT,P,76.

(4) LILYAN KESTELOOT, IDEM, P 95.

و هذا يعني أن كل حل للاشكالية الثقافية الزنجية ، لايتم الا في اطار افريقي و في شخصية افريقية - زنجية ، و ليس عن طريق استعباد الحضارة الفرنسية بقيمها و فنونها .

و بالفعل ، أستطاعت صحفية " الطالب الزنجي " التي لم تكن في بدايتها الامجرد حركة طلابية ، أن تقوم بحركة ثقافية ، تطلب الاعتراف بالهوية الثقافية للانسان الزنجي المتمثلة في تاريخه و عاداته و قيمه .

و بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية ، توقفت صحيفة " الطالب الزنجي " عن الصدور ، و تشتت الجهود المتظافرة بعودة " ايمي سزير " الى المارتنيك أين أسس مجلة "التروبيك **TROPIQUES** " (1) التي كانت امتدادا للحركة الزنجية ، هذا ما دفع مجموعة " الطالب الزنجي " ، أن تلتف حول المفكر السينغالي " أليون ديوب **ALLIOUNE DIOP** " ، لتساهم في تأسيس مجلة " الحضور الافريقي **PRESENCE AFRICAINE** " مع عدد من الشخصيات الفكرية (2)

وفي ديسمبر من سنة (1947) ، ظهر في " باريز " و " دكار " في آن واحد العدد الاول من هذه المجلة التي كان يشرف عليها عدد من كبار الادباء و مفكرين فرنسيين أمثال : " أ . جيد **A. GIDE** " و " سارتر **SARTRE** " و " مونييي **MOUNIER** " بالاضافة الى بعض الكتاب الزنوج أمثال : " سنغور " و " سزير " الذي عاد الى " باريز " و " ريشار ورايت **R.WRIGHT** " الامريكي . لكن في ماذا تختلف مجلة " الحضور الافريقي " عن زميلاتها ؟ .

---

(1) LILYANE KESTELOOT, Anthologie Négro-Africaine, op ct, p 123

(2) Parmi ces personnalités on note notamment : les guadeloupéens PAUL NIGER, ET GUY TIROLIEN, L'ivorien BERNARD DADIE, les Dahoméens APITHY et BEHANZIN ET LE MALGACHE RABE MANJARA. Voir Idem p. 123 et suivantes.

يرى " اليون ديوب " أن الاختلاف يكمن في توجيه الاهتمامات الى افريقيا السوداء، و هذا بعد أن كانت مركزة على الانتيل فقط (1)، و بالفعل، لم يكن هدف المجلة طرح المشاكل السياسية أو الفلسفية، لكن سرعان ما تحول هذا الاختيار الى ادانة مجموعة الانظمة السياسية التي تسببت في السلبية الثقافية و العدمية نتيجة الجمود الفكري الملاحظ داخل المستعمرات، و أتضح لها، أن كل تغيير ثقافي يمر حتما بالقضاء على القمع و العنصرية، و النهاية المنطقية، هي الانغماس في غمرة الماضي البعيد كشرط من شروط القضاء على الاستعمار.

يتضح لنا مما سبق، أن دراسة العلاقة بين العنصرية من جهة و السياسة من جهة أخرى، هو طرح قضية التأثير بينهما، الامر الذي جعل " اليون ديوب" يبحث عن حل للمشكلة الثقافية في اطار سياسي، و لذا، أحتلت السياسة مكانة واسعة في مجلة " الحضور الافريقي "، مع الحفاظ على صبغتها الثقافية.

ب) فانون و الحركة الزنجية :

أجتذبت هذه الحركة أسماء جديدة الاهتمام بالفكر الثقافي الزنجي و السياسي، من بينها المفكر المارتنيكي : " فرانتز فانون FRANTZ FANON ".

لكن أليس الحماس الزنجي هو كفاح ضد الشعور بالنقص، ثم العثور على الكبرياء و الشرف أمام الطموح الزنجي ؟

اعترف "فانون" بالاهمية التاريخية للحركة الزنجية و فاعليتها على المستوى الفردي و الجماعي، و اذا كان يؤيد النزعة الزنجية كقوة محركة للتاريخ لما لها من قدرة على رد اعتبار الزنجي و احترام الذات، فانه يرفضها كوسيلة للتحليل و كمنهج للقضاء على العنصرية، و لفهم الاسباب التي دفعت الزنجي أن يتحلى بالاقنعة البيضاء، أشاع ديناميكية العلاقات الاجتماعية بين الاقلية و الاكثرية الى ترتدي طابع الشمولية.

لذا ، نراه يتجه لاعطاء تفسيرات نفسية لظاهرة العنصرية على ضوء علاقة الزنجي في الاطار الذي يشغله .

ان الادوات التي يستخدمها ، "فانون" في كتاب ((بشرة سوداء ، أقنعة بيضاء " PEAU NOIR, MASQUES BLANCS " هي نتاج التجارب التي عاشها في " المارتنيك " و يدور موضوعه حول محورين أساسين :

أولا الاسباب التي دفعت بالزنجي أن يتطلع الى بشرة الرجل الابيض و تحليلها أخيرا بواسطة وسائل نفسية التي تعلمها في مدينتي " ليون LYON " و"سان آلبان " SAINT- ALBAN " على يد الطبيب النفساني الاسباني " طوسكيل TOSQUELLES ".

و كانت قضية "مايوت كبيسيا " MAYOTE CAPECIA " المارتينيكية التي نشرت مذكراتها في كتاب تحت عنوان ((أنا مارتنيكية)) سنة (1948م) بباريز، بداية بحث طويل بالنسبة لـ " فانون " عن الاصول التاريخية و النفسية - الجنسية لعلاقة الرجل الاسود بالشقراء و الرجل الابيض بالزنجية ، و بفعل الضغط الممارس على " مايوت كبيسيا " عانت من عقدة اللون حتى أصبحت تُحب الرجل الابيض و تهواه و اذا سألها سائل : هل ذلك الذي تحبه جميلا ؟ تجيب قائلة ((كل ماأعرفه هو أنه يمتلك عيونا زرقاء (...) و بشرة بيضاء لذلك أحبه)) (1) و كانت أمينتها الوحيدة ، أن تبيض بشرتها لتتزوج بالرجل الابيض مهما كان شكله ، و أستنتج فانون من تجربة " مايوت كبيسيا " أن العلاقات الجنسية بين البيض و الزنوج ممكنة لكن تمثل البادرات الرئيسية للمجتمع الفرنسي - المارتنيكي.

---

(1) TRANTZ FANON, PEAU NOIR, MASQUES BLANCS , OPCT, P 34.

و يكون المستعمر في نظره هو الذي يسعى الى خلق هذا الوضع، ويصل بنا الى أن الشعور بالقصور هو نتيجة تفوق الرجل الابيض اقتصاديا، لكن هذا التفوق الاقتصادي يخفي قمعا منظما يقوم على أساس القوة، و هذا ما يعمد اليه الاروبي ليبقى الزنجي دائما انسانا طيبا أثناء تعامله مع الرجل الابيض حتى يشعر هذا الاخير بالسيادة و السلطة و التفوق، و أمام هذا الاحتقار الذي يشعر به الزنجي، يفسر " فانون" رغبة الزنجي الزواج بالمرأة الاروبية الشقراء، كانتقام لاذلال الرجل الابيض حتى يكون مساويا له، و هنا يرى " فانون" أن فرويد FREUD " و أتباعه تجاهلوا وجود مشاكل السود، و أن فرضياتهم لا تنطبق الا على عالم الرجل الابيض(1).

و من الواضح أن ثمة علاقة بين علم النفس، كعلم يبحث في الحوادث النفسية والواقع الاجتماعي، لكن هل يمكن أن نبث فيما اذا كانت الامراض العصابية التى يعاني منها الزنجي المستعمر هي نتيجة الحركة العنصرية.

يرتبط التحليل النفسي بالبحث عن الطابع التاريخي للحوادث النفسية ارتباطا وثيقا، لذا يرى " فانون"، أنه لا يمكن فهم الامراض العصابية التى يعاني منها الزنجي وظاهرة العنصرية، الا اذا أمكن ايجاد المحددات التاريخية لها، لانها هي الوسيلة الوحيدة التى تكفل فهم روح العلاقة المزيفة بين الزنجي و الاروبي داخل المستعمرات(2)، و هنا يمكن اثبات نقاط التوافق و الالتقاء مع علم النفس الفرويدي الذي يجعل من الحادثة النفسية حادثة تاريخية، لكن اذا كان " فرويد" يربط الظواهر النفسية و يفسرها بعوامل ذاتية كالليبيدو مثلا، فان " فانون " يفسرها بعوامل موضوعية أي بالاسترقاق الذي هو نتاج نظام ينهم بروح التمييز العنصري

---

(1) GENDZIER, ERENE, FRANTZ, L'histoire Immediate, ed seuil, traduit par edouard deliman, 1976 pour la traduction française Paris P 69.
(2) Frantz, Peau noir, masques blancs, OPCT, P 8 et suivantes.

من جهة ، ثم حصر الزنجي و فصله عن بيئته من جهة أخرى مع تعرضه لبنيات ثقافية جديدة كاللغة ، و في مثل هذا الوضع، يعرف الزنجي أن مصيره هو مصير الرجل الابيض و يكون بهذا المعنى مضطرا أن يتعلم اللغة الفرنسية التي حلت محل " الكريبيول CREOLE " سواء في البيوت أو المدارس، و تكون قدرته على التكيف بقدر درجة استلابه تجاه لغة الرجل الابيض و ثقافته ، و يسجل " فانون " أن الاختيار الممكن بين " الكريبيول" و الفرنسية ، هو الذي يعمل على تعزيز وجود الرجل الابيض و بقائه في المستعمرات.

و نجد في الادب الجزائري الناطق باللغة الفرنسية قبل اندلاع الثورة التحريرية مظهرا من مظاهر المسخ الثقافي الذي تعرض له بعض الادباء و الشعراء أمثال : " كاتب ياسين K. YACINE " و " محمد الديب M. DIB " و مالك حداد " و غيرهم ، غير أن وعي " الانا" الجزائري باستلابه كان عاملا من عوامل تحرره ، في حين رغم وعي الزنجي بمسخه الثقافي، تم تحرره بعامل خارجي. و هنا يحلل " فانون" بناء على جدلية " هيغل HEGEL " الشهيرة بين السيد و العبد كيفية تحرر الزنجي من الرجل الابيض حيث يرى أن تغيير الزنجي من رفيق الى انسان حر، تم بعامل خارجي و ليس بوعي منه ، و يقول " أن السيد هو الذي اعترف بوجود الزنجي القن " (1) فالزنجي كما يقدمه " فانون" " لا يعرف قيمة الحرية لانه لم يكافح من أجلها" (2) أي أن القضاء على العبودية لم يتم بواسطة كفاح الزنجي و انما تحرره تم باعتراف من سيده.

---

(1) FRANTZ FANON, Idem, P 175

(2) FRANTZ FANON, Idem, P 179

يمكن القول، أن العبد عند " فانون " ليس بذلك المخلوق الذي يجد في عمله منبعا لتحرره لانه " يريد أن يكون في مرتبة السيد"(1)، و لهذا العبد " الفانوني" أقل تحررا من العبد " الهيغيلي " ، أي أن العبد عند " هيغل " يدير ظهره لسيـــده ليرنو الى موضوع (العمل) ، أما عند " فانون" فان العبد يواجه السيد تاركـــا الموضوع جانبا، و السيد - كما يتصوره " فانون" يختلف عن السيد " الهيغيلــــي"، فعند " هيغل " نجد نوعا من التكافوء بينهما، أما عند " فانون" فان السيد يسخر من وعي العبد، فهو لا يطلب الاعتراف بوجود العبد و انما يطلب عمله فقط و يستنتج " فانون" أن التفاعل بين السيد و العبد لا تنتج عنه عدالة تلقائية عند " هيغـل" و أن تجاوز الاستغلال يتم بتنظيم ايجابي للعمل من طرف العبد، تنظيم يتغلب على مساوىء الحياة العارضة للخروج من العبودية و الاستقرار الذاتي.(2) لذا يرى " فانون" أن تحرر الزنجي يبدأ بوعيه للحقائق الاقتصادية، و اطار الوعي الذي يبتغيه " فانون" هو ادراك الزنجي لوضعيته داخل المستعمرات.

و يتهم " فانون" الحضارة الاروبية و قيمها و نظمها السياسية، بأنهـــا سبب الاستغلال و العنصرية و نتاج عمل تقوم به الطبقات البورجوازية و التجار و حتى الطبقات الدنيا، لكن رغم وعيه بأن تاريخ " المارتنيك " هو تاريخ الرق، فلا يريدهـا " فانون" حربا ضد الحضارة الاروبية، و للخروج من هذا التمييز العنصري، طلـــب القضاء على العنصرية أكانت سوداء أو بيضاء، مبينا أنه ليس من مستقبل للاســود في التطلع الى أن يكون كالابيض بل مستقبله يكمن في القضاء على كل شكـــل

---

(1) FRANTZ FANON, IDEM, P 179
(2) FRANTZ FANON, IDEM, P 179

من أشكال العنصرية كما ليس من حق الملون - في نظره - أن يسعى الى معرفة ما بعد عنصرا أرقى أو أدنى من العنصر الآخر، حقه الوحيد هو مطالبة الرجـــــل الابيض أن يسلك معه سلوكا انسانيا (1)، و يكون الحل بطبيعة الحال، تنازل كل واحد منهما عن عنصريته باسم مصلحة عليا سوف ينعم بها كلا الطرفيـــــــــن بفضل تضحية ارادية متبادلة.

و هكذا، وجد " فانون" نفسه في خدمة عالم، أفراده ينتمون الـــــى مجتمعات عنصرية، اذ لم يكن مرماه تحرير الاسود من ماضيه أو لونه، بل راح يبين للفرنسي أنه أسير عنصريته و ضحيتها في نفس الآن (2)، هذا ما جعله يهتـــم بآثار العنصرية البيضاء على البيض أنفسهم، قد اهتمامه بآثار العنصريـــــة البيضاء على الزنـــــوج.

و هنا جاء يسلم " فانون" بأنه لا يريد لنفسه و " للزنوج" ، الا أن يكون واحدا من الشعب الفرنسي، حيث يقول : " أنا فرنسي، شغوف بالثقافة الفرنسية و الحضارة الفرنسية و الشعب الفرنسي"(3).

و ردا على " أليون ديوب" الذي يرى أن الحركة الزنجية لا يمكن أن تستمد قوتها الا بالعودة الى الاصول الافريقية، فان " فانون" لا يجد مكانـــــة للعبقرية الزنجية " الا بضمها لثقافة الرجل الابيض حتى تعمل على تحقيـــــق التجانس الموحد بين الزنجي و الاروبي (4)، فأي ثقافة يتكلم عنها " ايون ديوب" و " فانون " مغرقا بالسيل الابيض الذي يشكله رجال مثل : " سارتـــــــر " و " آراغون ARAGON " و يـــــؤكد مرة ثانيـــــة " لا أرغب الا فـــــي هـــــذا " (5).

(1) FRANTZ FANON, Idem P 165
(2) FRANTZ FANON, Idem P 10
(3) FRANTZ FANON, Idem P 164
(4) FRANTZ FANON, Idem P 151
(5) FRANTZ FANON, Idem P 159

و لا يكتفي " فانون " بالغاء الثقافة الزنجية بماضيها و قيمها، بـــل سيحاول أن يحمل الزنجي المستعمر على الاعتراف بعدم فعاليتها، و مقابـــل ذلك، طلب من العالـــم الزنجي أن لا يستدعيه في استنفاذ قوته و تبديـــد طاقته للدفاع عن القيم البالية، لان الزنجي " يريد أن يضاهي الابيض "(1) ليحصى العادات التي استمدها من المجتمع الزنجي و يمضي في أخلاق و قيم الرجل الابيض.

لذا يريد " فانون" أن يأخذ بيد الزنجي لعلاجه نفسيا حتى يتعلم الاكل بواسطة الشكوكة و السكين و يدخن بيمناه و يرتدي لباسه و يتصرف مثله.

و يجب التأكيد ما لهذا الموقف من مظاهر الاستلاب لكونها عمليـــة " تتحكم فيها ضوابط سلوكية و تقاليد تقتضيها الاجراءات و القوانين و الاعراف التي تنبع من الحتمية الثقافيـــة " (2).

ان الوعي الذي صاحب " فانون" في كتاب " بشرة سوداء و أقنعة بيضـاء" بالحقائق الاقتصادية و الاجتماعية، مجرد نظرة تخضع لاعتبارات فكرية تبلورت فـــي اطار تردده على الدوائر اليسارية، لذا، كانت نظرته الى المجتمع " المارتنيكسي" نظرة صراع طبقي أين يجب للعامل المارتنيكي أن يتحد جنبا مع العامل الفرنسـي لمجابهة الطبقة البورجوازية مارتنيكية كانت أم فرنسية، حيث يقول " ان المارتنيكي مواطن فرنسي، يريد البقاء داخل الوحدة الفرنسية، انه لا يبتغي الا شيئا واحـــدا و هو أن يترك له الاغبياء و المستغلون امكانية العيش الكريم الانساني " (3)، و ما يعنيه " فانون" ليس الكفاح المسلح من أجل استقلال " الانتيل " AFFILIEES و لكن كفاح الانتيلي من أجل حياة أفضل و أكثر انسانية داخل الـــــوحـــدة الفرنسيـــــــة.

---

(1) FRANTZ FANON, Idem, P 163

(2) فيليب برنو، العنف وعلى الاجتماع، في المجتمع و العنف، ترجمة الاب الياس زحلاوي : مطبعة وزارة الثقافـــة، دمـــشق 1976، ص 90.

(3) FRANTZ FANON, Peau noire masques blancs, optot, P 163.

يتضح لنا - مما سبق - أن " فانون" لم يشعر بوجود الاستغلال الا من خلال المواقف العنصرية من جهة و الصراع الطبقي من جهة أخرى، خصوصا و أن دعوة " فانون" لحرية الزنجي دعوة تتصل بالحاضر و لا تدعو الى التأمل في الماضي، بهدف كشف عنصرية الرجل الابيض، و يستشهد ب " ماركس (MARX) " الذي يرى أن الثورة الاجتماعية لا يمكن أن تستمد شعرها من الماضي بل من المستقبل، و لايمكن أن تحقق ذاتها الا اذا تخلصت من كل المعتقدات الماضية (1). و بهذا، يكون الماضي في نظر فانون ليس له القدرة في توجيه الانسان داخل الاحداث، و لا يستطيع أن يقوده في الحاضر. (2) نتيجة لذلك، يطلب من الزنجي أن تكون أعماله منطلقة من ذاته للتخلص من عقدة الماضي، اذ ليس من حقه (أي الزنجي) أن يبحث بجميع الوسائل - في نظره - عن خلق الشعور بالذنب في الارواح (3) حتى لا ينغمس في حتمية الماضي.

و ها يدخل " فانون" في تناقض مع الحركة الزنجية التي تجعل من الماضي (أي العودة الى الاصول الافريقية) شرطا من شروط تحرر الزنجي من الرجل الابيض، في حين تجده يرفض أن يكون هذا الماضي منبعا لتحرره ، لان الماضي يعمل على تغذية الاحقاد بين الزنجي و الرجل الابيض، هذه الروح الانسانية هي التي يخاطب بها الرجل الابيض و الزنجي في مقدمة كتابه " بشرة سوداء ، أقنعة بيضاء " حيث يقول " الى مذهب انساني جديد (.....) أثق فيك أيها الانسان (.....) تفهم و تحب " (4) لذلك، كان لابد عليه أن يجد حلا لعنصرية الرجل الابيض داخل نظام سياسي يجمع بين الانا الزنجي و الانا الابيض، حتى يسعى كل واحد منهما الى تحقيق وجوده داخل مجتمع حر.

---

(1) FRANTZ FANON, IDEM, P 163.
(2) FRANTZ FANON, IDEM, P 181.
(3) FRANTZ FANON, IDEM, P 186.
(4) FRANTZ FANON, IDEM, P 5.

لكن ما تجاهله " فانون" هو أن الانسان جزء من التاريخ ، و البحث عن المصير لا يمكن أن يتم بالتطاول على الماضي، و الا كيف يمكن للانسان أن يكون ظافرا في كل زمان و مكان اذا فقد ماضيه و خاصة تاريخه الذي يحدد هويتـــه . ؟

ان حرص " فانون" على مستقبل فرنسا على حساب القيم الزنجية لدليل على مدى الترابط الثقافي الغربي بالادماج الثقافي الذي عزز وجوده و ساعده على " استرقاق الانسان غير الاوروبي" (1) لهذا كانت مواقف "فانــــون" و الحلول التي يقدمها لظاهرة العنصرية لا تنطوي على التناقضات الاساسية التي تقوم عليها المشكلة الاستعماريـــة .

و يرى " محمد الميلي " M. EL- MILI " " أن مرد ذلك، يكمـــن في انتمائه لليسار الفرنسي الممزق بين البورجوازية الليبيرالية من جهـــة و الوجودية من جهة أخرى (2)، و قد سجل " دافيد كوت " M.EL- M I L I " مدى تأثر " فانون" في كتابه " بشرة سوداء ، أقنعة بيضاء " عند تحليلـــه للعنصرية التي يواجهها الزنجي الاوروبي بالمبررات التي استعرضها " سارتر " SARTRE " في دراسته عن " اللاسامي و اليهود " (3) و يصـــف " بتير غاسمار " PETER GEISMAR " المرحلة الاولى من حياة " فانون " كمرحلة تكوينيـــة تفتقر للرؤية الواضحة (4).

---

1) محمد الميلي ، فرنتز فانون و الثورة الجزائرية ، شرونت، الجزائر، الطبعـة الاولى 21973 ص 68

2) محمد الميلي ، م س ص 54

(3) DAVID CAUTE, FRANTZ FANON, MAITRES MODERNES , COLSEGHERS , PARIS, 1970, P 22.

(3) CITE PA IRENE GENDZEIR, FRANTZ FANON, OP CT , P 54.

خلاصة الفصل :

لقد حاول " فانون " في كتاب " بشرة سوداء ، أقنعة بيضاء " أن يصور لنا ، تصرفات الزنجي المستعمر داخل المنظومة الاستعمارية ، و نتيجة لتكوينه العلمي النفساني، جاء كتابه في شكل دراسة تحليلية ـ نفسية لظاهرة العنصرية، و يبدو أن تجربة " فانون" الشخصية ، تجربة الشباب الفكرية المتشبعة بالفلسفة الهيغيلية ـالماركسية التي لم تبلغ بعد مستوى المعرفة النظرية الواضحة ، و فضلا عن ذلك، أخذت كتاباته أهميتها الحقيقية بعد أن أصبحت مرتبطة بتجربة الحياة، و خاصة لما التحق بالثورة الجزائرية ، و قد مكنته التجربة الجزائرية ـ في حدود مهنته الطبية ـ أن يكتشف أن فرنسا كما كانت تهدف مسخ الزنجي ثقافيا ، فهي تهدف الى اخضاع الجزائري لسلطتها و حمله على الاعتراف بنفوذها.

و على ضوء علاقة المستعمر الفرنسي بالسكان الاصليين، لاحظ " فانون" أن النظام الاستعماري و ان اختلفت وسائله ، فهو يهدف دائما الى تجريد الانسان من انسانيته و نهب ثرواته و تشويه ثقافته ، و يكون الامتثال هو الاطار الاول الذي يعمد اليه المستعمر لفرض وجوده داخل المستعمرات . و من خلال الملاحظات التي سجلها " فانون " لما وضع نفسه تحت تصرف السيد الوالي العام على الجزائر كمدير عام لمستشفى الامراض العقلية بالبليدة ـ

ان رغم بياض بشرة الجزائري، فانها لم تمنعه أن يكون عرضة للكره و الحرمان الامر الذي أضحى بعدد كبير منهم الى فقدان توازنهم العقلي.

غير أن وجه الشبه بين اضطرابات الوعي نتيجة انسلاخ الجزائري عن محيطه البيئي و الاضطرابات العصبية التي يعاني منها الزنجي الاروبي سمحت لـ " فانون" أن يكتشف وراء طيبة الجزائري و الزنجي نظاما سياسيا، لا يحترم أبسط القيم الانسانية .

و على ضوء ثنائية الوجود اللاموحد بين المستعمر و المستعمـــــر أندلعت الثورة التحريرية المسلحة، و تأكد لـ " فانون" أن الاستعمار الفرنسي لا يمكن اقتلاعه الا بواسطة العنف.

و نجد مظاهر هذه الثنائية في آخر كتاب له " معذبوا الارض " الذي يعتبر جهده الجاهد في تنظير فكرة السياسي.

و قبل أن نعرج على تحليل مفهوم العنف عند " فانون " يجدر بنـــا أن نحدد مدلوله الفلسفي ، و أخيرا كما يتصوره من خلال كتاباته الخاصة.

الفصل الثاني

المدلول الفلسفي للعنف :

ان المدلول الفلسفي للعنف، يبدو موضوعه متعدد الاشكال و تعاريفه مختلفة و هذه الاختلافات تبين لنا صعوبة الحصول على تعريف دقيق للعنف، الا أننا سرعان ما نلاحظ أن العنف اذا أخذناه بمفهوم فلسفي ثوري - فهو وسيلة من وسائل التحرر و التغيير، و يفيد بذلك معنى الرفض(1) للمقدر الانساني المحتوم، و ينطوي هذا الرفض على عدة مظاهر كتزايد الغضب في وضع اجتماعي معين الذي يثير سخط الافراد ، أو بتنظيم مقاومة تشكل ملامحها نوعا من الكفاح العلني، (2)، و العنف هاهنا عبارة عن انفجار انساني يحدث عندما " يكون محروما من ممارسة حقوقه الاساسية أي عندما يمس في وجوده و كرامته أو في سلامته " (3)، و هكذا يتبين لنا أن

---

(1) يطالعنا القاموس الفلسفي " لجميل صليبا" بأن العنيف هو " القوي الذي تشتد سورته بازدياد الموانع التي تعترض سبيله " .

- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1971، ص 112.

(2) نلتمس نفس الدلالة في قاموس " لالاند" الفلسفي اذ يقول : " العنيف هو ما يحدث بقوة، يغلب الحواجز، يجابه أو يحطم المقاومة "

ANDRE LALANDE, VOCABULAIRE TECHNIQUE ET CRITIQUE DE LA PHILOSOPHIE, P.U.F. 12ème EDITION, 1976 P, 1211.

(3) بيبرفيو ، العنف و الوضع الانساني، في المجتمع و العنف، ترجمة الاب الياس زحلاوي و مراجعة أ . أنطوان مقدسي، منشورات وزارة الثقافة و الارشاد القومي ، دمشق ، 1975، ص 149.

ظاهرة العنف هذه ، تستمد شرعيتها من شعور الناس بالاستغلال و يكون هدفها اساسا ((الدفاع عن الذات ، الدفاع عن المصالح الحيوية لمجموعة معينة ، أو الكفاح المسلح من أجل العدالة و الكرامة و الحرية لمجموعة من النـــاس المضطهـــديـــن)) . (1)

و اذا كان العنف تجربة ضرورية في ذاتها " للتحرر من القمع الممارس على الانســـان ، فاننا نجد من يجعل منه مجرد و سيلة لغاية كهيغل "الذي يمجد الحرب — التي لا مناص منها — لتتجاوز الدولة الاستقرار الذاتي و تخرج ذاتها أقوى مما كانت عليه . فالحرب في نظر هيغل سلب ، و مادام السلب نقيضا للموضوع أو حركة ضرورية للتطور الجدلي ، فهي التي تحقق التقدم الاجتماعي و الحضاري، و ما السلام إلا تحجر المجتمع في شتى المجالات الذي يؤذن بموت المجتمع . و يقول في هذا المضمار : ((ان للحرب هذه الدلالـــة العليـــا ، اذ بها تحفظ الصحة الأخلاقيـــة للشعوب في حيادها ، تجاه ثبات التخصصات المتناهية ، كما تحمي الريـــاح البحر من الكســـل، الذي قد تغرقها فيه طمأنينة دائمة ، شأنها ، شأن السلام الدائم أو الأبـــدي ، الذي قـــد تغـــرق الشعوب فيه))(2) و هكذا ، نلاحظ أن تطبيـــق هيغـــل للديـــا ليكتيك على نظرية الدولة ، جعله يمجد الحرب كضرورة لا يمكـــن التخلص منهـــا .

---

(1) ALAIN BIROU , VOCABULAIRE DES SCIENCES SOCIALES , LES EDITIONS OUVRIERES, PARIS, 1966, P 357.

(2) هيغل ، مبادىء فلسفة الحق ، ترجمة تيسير شيخ الأرض ، منشورات وزارة الثقـــافـــة ، دمشـــق ، 1974 ، ص 354 .

و يتضح لنا – مما سبق – أن موقف هيجل من العنف، موقف هدم و خراب باعتباره يبقي المجتمع الانساني في صراع لا يعرف منتهاه .

غير أن هذا العنف كما يتصوره " كارل ماركس " K. MARX "، لا ينطوي علـــى تغيير جذري للهياكل الاجتماعية ، و انما تغيير الجهاز التنظيمي الطبقي للقضاء علـــى التناقض الرئيسي للنظام الرأسمالي بين الانتاج الجماعي و الملكية الخاصة ، مما يتطلب من الطبقة العاملة استعمال العنف للوصول الى هذه " الضرورة التاريخية " ، و لعلنـــا نتذكر مطلع كتاب " بيان الحزب الشيوعي " الذي يقول : " ان تاريخ المجتمعات هـــو تاريخ صراع الطبقات " (2) و هذا يعني أن العنف عند ماركس لا يتمتع بامتيـــــــاز عام و شامل لجميع مظاهر الحياة ، رغم أنه عنف ثوري يقضي على الاستغلال و الاستـــلاب ، و الشيىء الذي أهمله ماركس هو : " أن المستعمر هو شكل من أشكال العنصرية " (2) ، و من هذا المنطلق ، يبقى العنف وسيلة لا للقضاء على الصراع الطبقي فقط ، وانمـــــا وسيلة للقضاء أيضا على كل أشكال الاستغلال و العنصرية .

و لا يفوتني و أننا بصدد تحديد مفهوم العنف الثوري، أن أشير الى أحـــــد تلاميذ " كارل ماركس " ألا و هو " جورج سوريل " G. SOREL " الذي يميز بين القـــوة التـــي تستعملهـــــا الطبقـــــة البورجــــوازيــــــة و العنـــف

---

(1) MARX- ENGELS, MANIFESTE DU PARTI COMMUNISTE, CLASSIQUES DU MARXISME EDITIONS SOCIDES, PARIS 1972, P 31.

(2) IRENE GENDZEIR, FRANTZ FANON, TRADUIT PAR EDDOUARD DLIMAN, EDITIONS LE SEUIL, PARIS 1976, P 216.

REVOIR LE TABLEAU D'INDEX.

الذي تستعمله الطبقة البروليتاريه حيث يقول : ((ان القوة تستهدف فرض التنظيم التابع لنظام اجتماعي ما ، يكون الحكم فيه بيد الأقلية ، بينما يرمي العنف الى تدمير هذا النظام)) . (1) و تبعا لذلك ، اذا كانت القوة التي تستعملها الطبقة الغنية نصية : فان العنف يأخذ طابعا تحرريا .

الا أن التمييز الذي يقيمه " سوريل " بين العنف و القوة ، قائم على أساس اعتبارات ذاتية ، لأن كل الأوضاع العنيفة تنشأ أساسا بواسطة استخدام القوة .

بيد أن بعض الفلاسفة الألمانيين و على رأسهم " نيتشه NIETZSCHE جعلوا من العنف شرعة القيم الأخلاقية الجديدة لتقوم على أنقاض القيم البالية التي جاء بها " زارد شت " يعلنها للبشرية جمعاء . و كلها صادرة عن ارادة القوة التي هي جوهر الوجود ، وطابعها المميز الاغتصاب و هضم حقوق الآخرين . و الخير كما يقول " نيتشه " هو ((كل ما يعلو في الانسان بشعور القوة و ارادة القوة و القوة نفسها)) . (2) .

ان هذه المبادىء ، بلغت أقصى درجات الانحلال ، و لهذا فهي عنصر هدم و افناء ، فبمقدار ما يكون شعورنا ادراكا للاستغلال ، بمقدار ما يتخذ العنف قيمة أخلاقية يحرر الانسان من الاستقرار الذاتي .

---

(1) GEORGES SOREL, REFEXIONS SUR LA VIOLENCE, LIBRAIRIE MARCEL RIVIRE ET CIE 11éme EDITION, PARIS 1950, P 257.

(2) NIETZSCHE (F) AINSI PARLAIT ZARATHOUSTRA, COL IDEES GALLIMARD TRADUIT DE L'ALLEMAND PAR MAURICE DE CONDILLAC, PARIS, 1971 P 24.

من أشهر [illegible] العنف الثوري، الفيلسوف الوجودي " سارتر **SARTRE** " الذي يرى بأن العنف هو " رد فعل " (1) كرد فعل المستعمر ضد المعمر لاهباط الحياة من صورتهـــــا الاستغلالية الى الحرية و المساواة .

أما العنف عند فانون فهو لا يعني ـ كما سيتم تبيان ذلك ـ صراع فكري أو معركة فلسفية بين وجهتي نظر ، و انما هو تأكيد يفرض بشكل تام و مطلق بواسطـــة الممارسة الثورية ، و هو بهذا المعنى رفض صريح و تمرد علني على لا معقولية الحيـــاة التي يعيشها المستعمر و التي فرضها المعمـــــر .

غير أننا نجد عدة مفاهيم يطفيها " فانون" على ظاهرة العنف ، الا أن هذه المفاهيم تختلف تبعا للمراحل التي يمر بها العنف في عملية التحرر ، اذ يفيــــــد معناه ـ بادىء ذي بدىء ـ مقاومة أولئك الذين يجنحون الى اساءة استخدام حريـــة السكان الاصليين حيث يقول : " ان محو الاستعمار حدث عنيف دائما " (2) و فـــي حدود نظرة ثانية ؛ يجعل منه وسيلة لخلق مجتمع أفضل و انسان جديد، ليوءكــــــد لنا أخيرا على أنه عنف الثورة الاشتراكيـــــة .

و مهما يكن من أمر، فان تصوره للعنف لا يبتعد عن كونه وسيلة من وسائل التحرر و التغيير، فهو حــــركة تمـــــــرد و اعتـــــــــــراض لقمــــع سلبي يحل بالانســـــان.

---

(1) **SARTRE, J.P CRITIQUE DE LA RAISON DIATECTIQUE, GALLIMARD, PARIS , 1960, P 675**

(2) فرانتز فانون ، معذبو الارض، ترجمة الدكتور سامي الدروبي و جمال الاتاســـي دار القلم ، بيروت، 1972 ، ص 34.

[illegible] " R. ZAHAR " [illegible] مفهوم [illegible] يختلف [illegible]
على المستوى النظري – من مفهوم هيغل.

فاذا كان هيغل يرى في – جدليته المعروفة – أن السبيل الوحيد للقضاء على الاستغلال يتم بواسطة العمل، فان " فانون " يلغي هذا العامل الوحيد أي فكرة تموضع (بمعنى تحرر) العبد بواسطة العمل – الذي أستند اليه هيغل ، و يضع لذلك بديلا يتمثل في تحليل سياسي للتحرر بواسطة العنف (1)، اذ أن الانسان يعيش في عالم من اللامساواة الصارخة وجودها قائم بفضل العنف، الا أن " فانون " لا يلغي العمل كعامل من عوامل التحرر، لكن ليس بمنظور هيغل، لان العنف بالنسبة لفانون يمثل " البراكسيس " المطلقة ، و الانسان الثوري هو الذي يعمل و يشتغل و يكد من أجل تغيير هذا الوضع الذي فرض عليه عبثا .

و يمكن القول – من كل ما مر بنا – بأن العنف عبارة عن حركة تمرد تنطلق و تتوسع انطلاقا من وضعية خاصة بها، بعبارة أخرى، العنف هو " ضغط جسدي أو معنوي، ينزله الانسان بالانسان بالقدر الذي يتحمله على أنه مساس بممارسة حق أقر بأنه حق أساسي " (2)

---

(1) RENATE ZAHAR, L'OEUVRE DE FRANTZ FANON, EDITION MASPERO PARIS, 1970 , P 86.

(2) بيير فير ، العنف و الوضع الانساني، في المجتمع و العنف، ترجمة الاب الياس زحلاوي،منشورات وزارة الثقافة و الارشاد القومي، دمشق 1975، ص 159.

يتضح لنا مما سبق، أن العنف يتصف قبل كل شيء بأنه علاقة بالانسان، و هذا ما يمــد للعنف قيمة أخلاقية، لان كلما يمس الانسان في حقه الطبيعي، كلما يتخذ العنـــف مظاهر خلقيـــة تبرره كوسيلة من وسائل التحرر، لذا أضحـــى مبدأ ضروريـــــا لكل ثورة .

و هنا بالذات ، نضع يدنا على جوانب العنف الثـــوري الاساسيـــة لفهم نظرية " فانون " اذ أهم خصائص عنف المستعمر، أنه ذات طابــــــع تحرري.

التحـــــرر بواسطـــة [illegible]

في سنة 1960 ، تعرض فانون لحادث سيارة ، غير أنه نجـــا منه بعـــــد معالجته في روما ، و عند عودته ، تابع نشاطه السياسي، اذ عين عضوا في الوفـــــد الجزائري في مدينة تونس، و من ثم سفيرا للحكومة الجزائرية الموءقتة في مدينـــة " أكرا " عاصمة غانا، كما كان ممثلها الرسمي في كل الموءتمرات الافريقيـــــــــة التي انعقدت سنة 1960.

غير أن القدر كان له بالمرصاد، حيث أصيب بسرطان في الدم، أرسل على اثره للمعالجة في روسيا و أمريكا، لكن بدون جدوى ، و هذا ما دفع به أن يعود بين الثوار الجزائريين، و في أفريل من سنة 1961، شرع في تحرير كتابه الـــــــــى معذبي الارض الذي أسماه باسم هوءلاء.

و يعتبر كتاب " معذبو الارض " دراسة مبدعة تعتمد على تحليل اجتمـاعـي سياسي وفقا للنظرية الهيغيلية ـ الماركسيـــــة لظاهرة العنف.و اذا كان "ماركس" و " لنين " تحدثا عن نظرية العنف بواسطة تحليل الانماط العملية للثورة مــــــن خلال الصراع الطبقي (1)، فان " فانون" يحللها عبر عمليـــــــة تحرر المستعمر من المعمـــــــــر.

و هنـــــــا ينظر " فانون " الى العنف كظاهرة تحتوي مرحلتين أساسيتين :

---

(1) NICOLAI SEMIONOV, les théories de la violence dans la lutte idéologique, éditions du progrès, MOSCOU, 1980, P 29

في المرحلة الاولى ، حيث يكون العنف تلقـائـي وغيـر منظم ، مفتقر للرؤية السياسيـة الواضحة ، يكون موجها ضد الدخيل الذي هو المعمـر ، أما في المرحلة الثانيـة و التي تمتـد الى غاية الاستقلال ، يأخذ العنف طابع الثورة الاشتراكيـة .

واذا كان العنف في المرحلة الاولى ، يبتغي هدم الاستلاب النفسي للمستعمـر نفسه ، فان العنف في المرحلة الثانية انما يرنو الى قلب الوضع الاستعماري الرأسمالـي و الذي أفرز هذا النمط في العلاقات و السلوك .

أ - العنـــف العفـــوي :

ان الصفحات الاولى من كتاب " معذبو الارض " ، تبدأ بوصف لثنائية العالـم الاستعماري ، فالمبدأ الاساسي الذي يحكم الوضع الاستعماري ، هو مبدأ التناقض الـذي يفرضه المستعمر ، عالم يقطنه نوعان من البشر : مدينة المستوطن أنوارها ساطعة ومدينـة الاهالي المتدحرجة في الوحل . هذا التناقض المطلق بين طرفي العالم الاستعماري ، يتجلى في انعـدام الوساطة بينهما . أي أن الحدود القائمة بين عالم المعمر وعالم المستعمـر انما هي مكونة من جحافل الجيش ومراكز الشرطة ، وهذا ما يضفـي على وجه الخصوص "صفـة نوعية لا تتميز بها الثنائية الاستغلالية في المجتمعات القائمة على الاضطهاد الطبقي كالمجتمعات الرأسمالية " (1) وتمضي هـذه الثنائية في المنظومة الاستعمـارية الـى أقصـى بعـد فتجـرد المستعمـر مـن

---

(1) طـرابيشي جـورج ، الاستـراتيجيـة الطبقية للثورة ، الطبعة الثانية.دار الطليعـة ، بيـروت ، 1979 ، ص 167 .

انسانية و كأنهم يعدونه حيوانا، و لما يتكلمون عنه، يقولون " قطعان الاهالي، تفريخ السكان، تنمل الجماهير .... الخ " (1).

و المبدأ الاساسي الذي يتحكم في هذه الثنائية، هو مبدأ التناقض الكلي الذي لا يمكن تركيبه، و على ضوء المنطق الارسطي، يستنتج " فانون " أن أحد الطرفين يجب أن يزول، و أن لا مكانة لاي تنافي دائم و مستمر بين المستعمر و المستعمر، لان القضاء على الاستعمار و على أي مستوى كان هو " احلال نوع انساني محل نوع انساني آخر احلالا كليا، شاملا و مطلقا بلا مراحل انتقال " (2).

و هذا النوع من اللاأخلاقية السائدة في المستعمرات، تتدخل لتحيط المستعمر بجو من الخضوع و الامتثال، و مهمة الشرطي و رجال الدرك و مراكز التعذيب، هي حمل الخوف و العنف الى أدمغة المستعمر و بيته، و من هنا، كان الخوف هو القانون السائد داخل المستعمرات، فالمستعمر يخشى أن يدخل عالم الاهالي و المستعمر يخاف أن يتجول في مدينة المستوطن، و على هذا الاساس، لا يمكن أن يكون التعايش السلمي موجودا في الوضع الاستعماري لانه عالمان، و يجب أن يكون كذلك، و يكون العنف العادي المحض هو الوسيلة الوحيدة لحل هذه الثنائية المتناقضة.

و لا يكتفي المستعمر بحمل المستعمر على الخوف و الامتثال و الخضوع، و انما يعمل على خلق التناقضات بين الفئات الاجتماعية المختلفة من عرب و بربر و رؤساء القبائل و غيرهم، و ذلك بالتركيز على خصوصية كل فئة و ما يميزها عن باقي الفئات الاجتماعية الاخرى حتى تتغذى الاحقاد بينهم و تنمو و تكشف بعض الدراسات " الاثنولوجية **ETHNOLOGIQUE** " و تذكر على سبيل

---

(1) فرانتز فانون، معذبوا الارض، ترجمة د/ سامي الدروبي و د/ جمال الاتاسي دار القلم، بيروت، 1972، ص 39.

(2) فرانتز فانون، معذبوا الارض، ص 34.

المثال " جان سرفييه JEAN SERVIER " الذي واكب أحداث الثورة الجزائرية كيف أقدم على تغذية التناقض الخارجي الذي كان قائما بين القبائل لبيرنو الـــى سياسة التفرقـــــة (1).

هذه الظاهرة التي تعبر على ذهنية المستعمر المتخلفة في ادراك بعدها السياسي، كانت دائما انتاج التناقض الذي ينميه المستعمر بين قوى متعددة الاتجاهات والمعتقدات، مما يؤدي، الى الرسوخ لقدر مكتوب، أي وكأن الله هو الذي أراد لهم هذا البؤس كما يعتقد غالبية المستعمرين.

و يمكن أن نجد أساليب أخرى للاستغلال يعمد اليها المستعمر، كاستيلائه على أراضي الفلاحين أو تهجير العمال أو مناولتهم أجورا بائسة، قائمة علـــى التمييز العنصري، و كان فضلا عن ذلك نظاما يقوم على ايديولوجية تستهدف ابقــاء العمال و الفلاحين في حالة من الانهزامية كما كان الحال في الجزائر أثناء الاحتـــلال الفرنسي.

لذا، فان الوضع الاستعماري ليس عنيفا بشرطته فحسب، و انما بادارته و قوانينه و مؤسساته و اقتصاده ....الخ (2)، و نلاحظ أن العنف كان دائمـــا هو " الاداة الوحيدة التي تسيطر على ترتيب العالم الاستعماري " (3).

غير أن هذه المعارك بين مختلف الفئات الاجتماعية من عرب و بربــــر و رؤساء القبائل و مشايخهم، يرى فيها " فانون" تدميرا للذات، و هي احدى الطرق التي يتحرر بواسطتها المستعمر من توتره النفسي (4)، لان المستعمر يعيش فـــي خوف دائم داخل العالم الذي رتبه المستعمر و الذي تسبب في روح الهجوميـــــة و العدوانية، و نظرا لسلطة المستعمر و قوته، فان المستعمر يصب عدوانـــــه على ذويـــه و أقاربه أو قبيلته .... الخ، أو بكبحه أمام صانـــع وجـــوده

---

(1) د/ بوعمران الشيخ، جان سرفييه و ثورة أول نوفمبر 1954، مجلة الاصالـــة، العدد 22، 1974، ص 79 الى 81.

(2) Slimane Chikh, l'Algerie en armes ou le temps des certitudes, O.P.U. Alger, 1980, P 165.

(3) فرنتز فانون، معذبوا الارض ص 45.

(4) فرانتز فانون، م، س ص 46

باعتباره يمثل [illegible]

و على ضوء نظرية " آدلر ADLER "، يفسر " فانون" انطلاق انفعالية المستعمر كالحركات التي تعبر عن كراهيته للمستعمر أو الرقص في الحفلات أن تجسد العدوانية سبيلا للتلاشي -، كتعويض لشعوره بالقصور و كنتيجة لعدم امكانية صب عنفه على المستعمر، و يرى " فانون" في هذه الظواهر، بداية و عي الفرد بأنه ممسوس في شرفه و كرامته و وجوده، (1) أي بداية استيقاظ شعوره الشيء الذي سيجعله يكشف واقعه و يغيره لما يمارس العنف الثوري، و اذا لم يوجه هذا العنف النفسي سينحرف - في نظره عن سبيله و يضل عن غايته (2).

و هذا بالذات، ينظر " فانون" الى العنف التلقائي كظاهرة تحمل في كيانها بذور التحرر من العقد النفسية التي يعاني منها المستعمر و التي ورثها من المعمر، و يكون العنف الذي سيوجه ضد المعمر، نتيجة لهدم استلابه النفسي المتمثل في خوفه من المعمر، و هذا يدل على أن " فانون" يعزو الى العنف، القدرة على احداث التطهير النفسي و التغيير العقلي.

ان أطروحة " فانون" المبنية على التصور التطهيري للعنف، انما يستمدها من كون تصفية الاستعمار ، لا يمكن أن يكون لها مفعول ناجع الا عندما يقدم المستعمرون على استئصال العقد النفسية من خلال عملية العنف (3)، بهذا الاعتبار ، يبقى العنف التلقائي من العوامل الاساسية التي تحرر المستعمر من اليأس و موقف المشاهد، و ترد اليه اعتباره الانساني لترفعه الى مستوى الممارسة الثورية.

و يتجلى الجانب الاخلاقي لعملية العنف التطهيرية، في تغيير نفسية الانسان و سلوكه و جعله قادرا على تشكيل وجوده داخل الوضع الاستعماري.

أما الوجهة الايديولوجية، فان المعمر يفسر عنفه و يستمد تبريرا له من

---

(1) فرانتز فانون ، م س ، ص 50

(2) فرانتز فانون، م س ، ص 51

(3) IRENE GENDZIER , FRANTZ FARON , OP CT , P 209.

المقـاومة السلبية الاولية التي يبديها بعض المستعمرين كنتيجة منطقيـة لعنفه . ان العنصرية و عواقبها التطبيقية - أي القمع المرتفع دائما - من شأنها كبح ردود أفعـال المستعمرين العنيفـة (1) .

و رغم طابعه الفوضوي ، فـان العنف التلقائي - حيث يسود بكيفية انضباطية و غير منظمة - سرعان ما يجد لنفسه مبررات اقتصادية؛ مثل المطالبة برفع الاجور أو تحسين الاوضاع الاجتماعية .وكان كلما يحقق حدّا أدنى من المطالب ، أستقر هـذا العنف في قرارة المستعمرين و حتى اشباعها في بعض الاحيان ، ليس كفيلا بازالتـه مثل وضع المضطهـد داخـل المستعمـرات .

هذا العنف ، و ان كان يختلف في أساسه عن العنف الثوري من حيث الشكل و المضمون ، فانه يعبر في جوهره - رغم مظهره السلبي - على الوعي الجماعي الذي يصاحب المستعمرين لواقعهم المضطهـد .

و على هذا المستوى ، فـان العلاقات بين المعمر و المستعمر أخـذت تسير وفق منطق جديد و أسلوب آخر ، بحيث يدرك المضطهدون فجأة و بصورة حدسية بـأن تحررها لا يمكن أن يتم الا باللجوء الـى العنـف .

و عند هذا الحد من التمرد الفوري ، يكون العنف العفوي ، مفتقرا الى الرؤيـة السياسية الواضحة ، أي لم يحصل بعد على تنظيم استراتيجي محكم . وتبعا لذلك و في مرحلة أولى - يكون العنف ذا طابع اجتماعي - نفسي ، و هو - بهذا المعنى شرط أساسي لكفاح التحرير المنظم .

و هنا يبني " فانون " تفسيره لأهمية العنف التلقائي على خوف المعمر من البلبلة التي قد تؤدي الى فوضى شاملة لجميع مظاهر الحياة الاجتماعيـة ، و يحصل بذلك تطاول على حق لا يمس و مقدس في نظر المعمر ألا و هو شرعية وجوده .

---

(1) RENE GENDRIER, FRANTZ FANON, OPCT, P 124 .

غير أن هذا العنف العفوي كما يرى " فانون" لا يمكن أن يؤدي الى عمل ثوري يؤتي ثماره الا عندما يقوم على وعي سياسي يحقق عملية التحرر وفق مبادئ سياسية . أي لابد أن ترافق هذا العنف ثقافة سياسية تعيد تنظيم الشعب و تسمح بتعبئته و تجنيده في مقاومة الاستلاب و رفضه سياسة الاستعمار.لذا، نجد " فانون" يتساءل عن القوى التي تقترح على المستعمر في فترة الاستعمار لتوجيه عنفه في طرق جديدة ، أي ما هي القوى التي تحول هذا العنف من عنف تلقائي الى عنف منظم ذي بعد سياسي ؟

ب - العنف الثوري :

بعد أن قام " فانون " بعملية تحليل اجتماعي - نفسي لظاهرة العنف التلقائي في الوضع الاستعماري، فانه يرى وفقا لهذا التحليل أن العنف العفوي، هو مقدمة أساسية للعنف الثوري الذي يرافق تسييس المستعمرين.

غير أن هذا العنف الثوري لا ينطلق من المدن، لانها ترمز - في نظره - الى الغزو الاستعماري و نجاح مشاريعه الاستغلالية ، بحيث تخف حدة التناقض بين المستعمر و المعمر و تتميع الثنائية و لايعود طرفاها متنافيين، و المدن كما يتصورها " فانون" ليست ظاهرة مزيفة في الوضع الاستعماري فحسب، بل وجودها هو في حد ذاته تعايش سلمي بين المستعمر و المعمر.

و نظرا للمصالح التي تجمع بين الاحزاب السياسية " الوطنية " بالمستعمر فانه يراها بمثابة قوى جد سلبية في عملية الكفاح المسلح، لانها لا تلح أبدا في نظره على ضرورة استعمال العنف كوسيلة لطرد المعمر، و لا تحاول استئصال النظام الاستعماري من جذوره ، و يقدمها على اثر ذلك، كأحزاب تطالب بمزيد من السلطة فقط و تحسين بعض الاحوال في التمثيل الانتخابي وحرية التعبير (1).

---

(1) فرانتز فانون ، معذبو الارض ، ص 51

أكثر من ذلك، فهي مجرد أحزاب مسالمة، تنادي بالمشروعية و تناصر الاستعمار (1)، و الخطر الذي يخشاه " فانون " هو أن الطابع الاصلاحي للأحزاب السياسية سيحول دون تحقيق الابعاد السياسية للعنف التلقائي و بالتالي التحرر.

و يقيم رفضه لها، على نوع قادتها وقاعدتها في آن واحد، حيث تتكون قاعدة الاحزاب السياسية من العمال و أصحاب الحرف و التجار و كلهم يستفيدون بشكل أو بآخر من مزايا الوضع الاستعماري، أما القادة فيكتفون بتنديد الشعارات ك " السلطة المطبقة البروليتاريا ".

ربما يجد الانسان نفسه معجبا بقدرة " فانون" على وصف الدور السلبي للاحزاب السياسية التي لا تساعد على توجيه المستعمر في الكفاح المسلح، لكن ما يلام عليه، هو تأكيده الذي يتخذ شكل التعميم و الذي لا يستند لواقع الشعوب الافريقية، لان الاحزاب السياسية رغم ضعفها ورغم نواقصها، فهي تعمل دائما داخل المنظومة الاستعمارية لتنتزع شعبها من فلك الاستعمار و رفع بؤسه و جهله، و اذا كان " فانون" يوحي بموقف " الامير خالد " الذي كان يطالب بتحقيق المساواة بين الاغلبية الجزائرية و الاقلية الاروبية أو الى تجربة الدكتور " بن جلول" و " فرحات عباس " اللذين كانا يطالبان بالادماج و التجنيس، فان الشعب الجزائري أول التجنيس على أنه تخلي عن حضارته العربية الاسلامية (2)، ثم هذه المواقف لها ما يبرزها من الجانب السياسي، لان الوعي السياسي و الامكانيات المادية و الطاقة البشرية هي التي تحدد أبعاد حركات التحرر الوطنية و أساليبها.

و لو نعود الى تاريخ الجزائر، فان أدوار الاحزاب و الحركات الثورية عكس ما توقعه " فانون" ، و كانت أول مشاركة دولية ل " نجم شمال افريقيا" كان يتكون من العمال المهاجرين - تلك التي تمت بمدينة " بروكسل BRUXELLE " من 10 الى 14 فبراير سنة (1927م) ، وقد

ن، م س ، ص 52

ز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين، دار البحث

198 ، ص 287.

التي " مصالي الحاج " بإصداره برنامجا للحزب مشابها يؤكد فيه على : " استقلال الجزائر ، انسحاب القوات الفرنسية المحتلة و تكوين جيش وطني " (1).

ولاسباب مختلفة ، ظهر هذا التيار يوم 11 مارس سنة (1937م) باسم " حزب الشعب الجزائري " ، و كان يعمل دائما على تعبئة و تنظيم كل الطبقــات الاجتماعية داخل الجزائر و خارجها ، للقضاء على النظام الاستعماري و تحقيق استقلال الجزائر ، و بعد الحرب العالمية الثانية تجدد " حزب الشعب الجزائري " باسم " حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية "، و كان من ضمن هيئاته الاداريــة هيئة عسكرية و هي " المنظمة الخاصة " التي كلفت باعداد الكفاح المسلح ، هـذا ما يبتعد عن تأكيد " فانون" للطابع اللاثوري للاحزاب الوطنية بصفتها أحزاب مسالمــــــة .

و يبني " فانون" حكمه القاسي على الاحزاب السياسية ، كونها تعيــــش في بيئة راقية تسود فيها " الروح العصرية " و الطمأنينة ، و بحكم صفتها - المدينية - فهي في نظره أحزاب اللاعنف ، لان وجودها هو بمثابة نفي دائـــــم لفكرة الثورة المسلحة التي تستبدلها بالحوار و التعايش السلمي ، و اللاعنف كما يتصوره ما هو الا " محاولة لتسوية المسألة على مائدة خضراء ، قبل التورط فـي أي حركة لا سبيل لتراجعها " (2) ، هذا ما يفسر في نظره مطالب الاحزاب الوطنية التي هي مطالب قابلة للتلبية في ظل المنظومة الاستعمارية .

و هنا يجد " فانون" نفسه في تناقض مع زعيم الحركة الهندية المهاتما " غاندي GHANDI " الذي يرى في اللاعنف منبع الاخلاق و الحقيقة ، والسمة التي تتميز بها " الغاندية " اضفاء الطابع الاخلاقي على السياسة ، فالحريــة لا تكمـــن في درجة العنف و نوعيته ، و انما فيما يفرضه الفرد على نفسه من ضوابط اراديـــة بممارسة التقشف (3) .

---

(1) Texte reprise par MAHFOUD KADDACHE, Histoire du Nationalisme Algerien, question Nationale et politique Algerienne 1919 - 1951 S N E D, Alger 1980, TOME II P909 .

(2) فرانتز فانون ، معذبوا الارض ، ص 53.

و كما نلاحظ ، اذا كان اللاعنف عند " غانــدي " وسيلة للمقاومة على المستوى السيـاسي فـانه في نظـر " فـانون " موقف سلبي تجاه الثورة التحريريـة ، و حجته أن الوجود الاستعماري ((قائم بفضل العنف و لايمكن أن يخضع الا لعنف هـــا ئــج)) (1) .

و يعلل " فـانون " صورتيه التشاؤمية عن الاحزاب السياسـية بتنازلها عن مبادئهـا الاخلاقية و بمواقفهـا الانتهازية من قضية الكفاح المسلح ضـد المحتـل . هذا ما جعله يؤكد على طبقـة الفلاحين التي أعتبرها بمثابـة ((الطبقـة الثوريـة الوحيدة)) (2) .

و تكمن ثوريتها في كونها لا تخشى أن تخسر الثورة ، بل تطمح في نظره أن تكسب من الثورة كل شيء . و الفلاح كما يقدمه " فـانون " ، منبوذ ، المجسد لآلام الامة المهانة ، انه فلاح قـومي ، هو رمز الكـرامة ، رمز الاصالة و الشرف في وطن مزق الاستعمار بنيته التقليدية وحطم شخصيته وهويته . انه فلاح ثوري لانه لا يأبى كل حوار مع المستعمر ، وهذا بعكس ساكن المدينة الذي لا يغرو وجوده أن يكون حوارا متصلا ودائما مع المحتل . لذا يسيء الفلاحون الظن بأبناء المدينة ويحذرونهم .فهم يرتدون ملابسهم ، ويقطنون أحياءهم،وهجروا أقوامهم ، في حين الفـلاحون هــم الذين يرمزون الى الارض،وكما عرضها " فانون " هي الطبقة الوحيدة التي تظل محافظة على أصالة تقاليدها من كل شـوائب الغزو الاستعماري لهذا السبب،لاتمثل طبقة الفلاحين القوة الاساسية فحسب ، وانما قادرة أن " تتدخل تدخلا حاسما في الكفاح المسلح وفي تعيين المستقبل الذي تختاره الامة في أن واحد"(3) وهذا يعني أن الفلاحين عند " فانون " هم عامل الثورة وقلبها النابض ، لان نظافة الارياف من ـ التلوث الاستعمـاري ـ هي التي تعطي لها الهيمنة على باقي الفئات الاجتمـاعية الاخــــرى .

ومن هنا ، كان فـلاح " فـانون " أول من يكشف ضرورة العنف كوسيلة أساسية من

---

(1) فرانتز فانون ، معذبو الارض ، ص 53

(2) فرانتز فانون ، م س ، ص 52

(3) فرانتز فانون ، م س، ص 96.

غير أن " ماركس " لا ينظر بعين " فانون " الى طبقة الفلاحين، لانهم عبارة عن مجموعة من الاوباش و روح الهمجية ، و هي مدعوة مع مر الزمن للانقراض، و يرى "ماركس" في انقراضها شروط النضج الثوري للمجتمع، و تكون الرسالة التاريخية لطبقة العمال (1) كالمحرك الوحيد للثورات.

و من هذا المنطلق بالذات، يوجه المفكر الفييتنامي " نجوين نجي NGUYEN NGHE " انتقادات عنيفة لموقف " فانون" بشأن الفلاحين حيث يقول : " لا يمكن للفلاح أن يكتسب وعيا ثوريا ، و على المناضل القادم من المدينة أن يبحث عن أكثر العناصر موهبة بين الفلاحين الفقراء، و لا يمكن تعبئة الفلاحين الا بعد فترة طويلة من العمل السياسي"(2) لكن يكشف " نجوين نجي " عن عدم فهمه لتصور " فانون " بشأن طبقة الفلاحين، حيث يعترف هذا الاخير بالموقف المحافظ أساسا الذي تتميز به هذه الطبقة الاجتماعية و من ثم امكانية الاستعمار أن يستخدمهم كوسيلة لتحقيق مشاريعه النفعية.

فالمستعمر - في نظر - " فانون " يترك طبقة الفلاحين التي تشكل أغلبية سكان المستعمرات خاضعة لقادتها و زعمائها المحليين، هذه السلطة التقليدية، يقدمها كموعيد رئيسي للاقطاع، و هي التي تسد كل المحاولات التي تقوم بها النخبة القادمة من المدن من أجل التغلغل في الارياف (3)، و هذا نلفيه يقر بدور المناضل - المديني - في تسييس الجماهير الريفية لممارسة الثورة.

و لعل " ماوتسي تونغ MAO TSE TOUNG "، من ضمن الذين وضعوا حدا للخرافات السلبية بصدد دور الفلاحين كطبقة اجتماعية في الثورة المسلحة، و يميز " ماو " ، بين القوة الثورية الرئيسية في الكفاح المسلح و بين قوتها القيادية، أي أن قيادة الثورة

---

(1) جورج طرابيش، الاستراتيجية ، الطبقة للثورة، ص 31

(2) NGUYEN NGHE, Fanon et les problèmes de l'indépendance, in la pensée N° 107, 1965, P 29.

(3) فرانتز فانون ، معذبوا الارض ، ص 86.

لا يمكن أن تكون الا للطبقة البروليتارية ، و ذلك نتيجة وضعية العمال ثقافيا ، بالنظر الى عملية الانتاج (1) وهـذا بطبيعة الحال لم يمنع "ماو" أن يعتبر طبقة الفلاحين القوة الرئيسية للثورة ، خلاف "ماركس" الذي يرى فيها مجرد قطيع من الغنم .

و ليس ببعيد رأي "ماو" عن موقف لنين " LENINE " الذي يميز بين الفلاحين الاغنياء و المتوسطين و الفقراء فسياسة الحزب العمالي القائد، يجب أن لا تكون في نظره سياسة اللامبالاة ، و انما ينبغي أن تكون سياسة توجيه و تأييد لطبقة الفلاحين حتى تكون قادرة على النضال الثوري (2)، و خاصة اذا كنا نعلم أن المشكلة الروسية هي مشكلة زراعية ، و هكذا، يعترف "لنين" ضمنيا بقوة الفلاحين و دورها في الكفاح المسلح و ان كان يسند الدور القيادي لطبقة العمال.

أما "فانون" يرفض الطبقة البروليتارية بمفهومها الماركسي، بدعوى أنها طبقة اجتماعية فقدت روحها الثورية ، و بالفلاحين صارت هذه الطبقة هي القوة الرئيسية و القائدة للثورة .

---

(1) MAO TSE TOUNG, rapport sur l'enquête menée dans le HOUNAN à propos du mouvement paysan, éditions en langue étrangères PEKIN 1967, P2 ET SUIVANTES.

(2) جورج طرابيشي، الاستراتيجية الطبقية للثورة ، ص 67.

وهنا يبدو عجز هذه الاحزاب الافريقية التي لم تتدارك في نظره أهمية ربط برامجهم السياسية بمصالح الريفيين وهمومهم اليومية، فهم لا يحاولون ترسيخ قواعدهم الحزبية في الارياف فحسب بل يحاولون تغيير الاطار التقليدي للفلاح وحتى اذا أرادت الاحزاب أن تنقل الدعاية في الاوساط الريفية، فانها تنقلها بواسطة وسائل وأساليب غريبة (3).

هذا ما يفسر به " فانون " موقف الفلاح الحذر من ابن المدينة التي صدعها التقدم الصناعي، ثم لما يحاول قادة الاحزاب السياسية تنظيم الريف، فلا يقوم تنظيمهم على معرفة واقع الفلاح ؛ فالمسؤولين الذين تنبذهم الاحزاب الى القرى، يريدون قيادتها وكأنهم يسيرون خلية من خلايا حزبهم متجاهلين الزعماء التقليديين (4) وينتج

---

(3) فرانتز فانون ، معذبوا الارض ز، ص 87.

(4) فرانتز فانون ، م.س ، ص 88

عن ذلك عصبيـــــة اقليميـــــة أثناء الكفـــــاح المسلح .

و رغم قلـــة تأثير الاحـــزاب السياسيـــة في الاوســـاط الريفية فـان " فـانون " يعـــزو لطبقـة الفلاحيـــن بحكـــم تجربتهـــم القـدرة على خلق أوضاع ...، عوضـا أن تدخل الاحـــزاب الــى طبقـــة الفلاحيـــن لتبث فيهـــا الوعي السياســي و تنظـــم حركتهـــا الثوريـــة ، فانهـــا تكتفي في نظــره بتأمـــل كفاحها هــذا ما يسـبب تعارض صريـــح بين " المستعمــــر المحروم مــــن منافـــع الاستعمــــار و المستعمــــر الذي ينـــال من الاستغلال الاستعمــــاري نصيبـــا ". (1)

لكن ينهض " فانون " بشيء من الواقعيــــة ، ليتدارك عجــــز طبقـــة الفـــلاحيـــن في العثـــور على أساليـــب عمــــل تبلـــــغ من الفعاليـــة ما يمكنهـــا من التصــدي ، لذا يرى فيمـــا بعد أن العنـــف لا يأخـــذ أبعــــاده الثوريـــة الا بتدخـــل بعض القـــادة النقابييـــن و المناضلين المخلصيـــن ، هوءلاء الرجـــال ، كمـــا يقدمهـــم " فـــانون " متمـــردون ، يجتمعون بادي ذي بدء فـــي ضواحي المـــدن هــــربا مـــن مطـــاردة الشرطــــة ، و يقـــررون أخيرا الالتحاق بالجمـاهير الريفيـــة التـــي أنفجـــر وضعهـــــا ، و هذا يسعـــى هوءلاء الى تكـــوين

---

(1) فرانتز فانون ، م س ، ص 87

حزب "لا موقسي" [illegible] " و يكتشفون أن الجماهيـــــــر الريفية " لم تنقطع يومـــا عن الاعتقـــــاد بـــأن تحررهــــــــــــا لا يتم الا بالعنف " (2) و هذا يعنـــــي أن المكافحيـــــن القادميـــــن من المـــــدن هــــم الذين يشحـــــدون هذه الطبقــــة المتمـــــــردة ليكونونهـــــــا سياســــــا و يدربونها عسكريـــــا حتى يصبـــــــح عنفهـــــا عنفـــــا منظمـــــا غايتــــه تغييـــر وضـــع الانســـــــان المضطهـــــــــد.

لكـــــن " فـــانون " لم يجعل من التسييســــس "POLITISATION" عمليـــة تستبـــــع مسيــــــرة الكفـــــاح المسلـــــح، و قـد أوضح المفكر الفييتنامي " نجوين نجي " ، كيـــــف أن الاستعمـــــار لا يقهـــــــر مـــــن خـــــلال آداة العنـــــف وحدهـــــا ، بـــــل حتى بسياستـــه و يقـــــــول : " سيظـــــل بنتصـــــر (أي المستعمــــــر) حتـــــى يـــــواجه فكــــــر سياسي أرقــــى من فكــــــره " (3)

---

(2) فرنتـــــــزا فانون ، م س ، ص 987.

(3) NGUYEN NGHE, FANON et les problèmes de l'indépendance, OPCT P 52.

و في الحقيقة ، العنف على أهمية في الثورة المسلحة ليس سوى " مرحلة من مراحل الحركة الثورية التي هي في أساسها سياسية (.......) و حين يهمل الانسان العمل السياسي و الايديولوجي لكي يركز بشكل خاص على العمل العسكري، فعليه أن يتوقع خيبة أمل و خاصة في ظروف السلام " (1)

و الى هنا يمكن أن نطرح السؤال التالي : كيف يمتد العنف الثوري من الريف الى المدينة ؟ لقد اعترف " فانون " بالمشاكل العسيرة التي تطرحها عملية نقل الثورة من الريف الى المدينة و ليس من قبيل الصدفة ، أن يكون " فانون " قد أعتبر الطبقة " ماتحت الكادحة "LUMPENPROLETARIAT" الطبقة الثورية الوحيدة في المدن ، و أول من يلبي نداء الحزب " اللاشرعي " للانخراط في الثورة المسلحة هم هوءلاء العاطلون عن العمل، وهذا نتيجة وضعيتهم الاجتماعية ، اذ لا يملكون أدنى الوسائل المادية و المعنوية للعيش الكريم ، للحفاظ على حياتهم اليومية ، و الثورة التي أنطلقت من الارياف تدخل الى المدن بواسطة هذه الطبقة .

---

(1) NGUYEN NGHE, FANON et les problèmes de l'indépendance OPGT, P 36.

و بديهي أن يدرك " فانون " - باعتباره محللا نفسانيا - أهمية التغير السيكولوجي الذي يتيحه العنف الثوري للطبقة " ماتحت الكادحة " التي تسترجع اعتبارها و تجسد سبيلها في الثورة ذاتها ، لكن، مايفسر في نظرنا - الدخول المبكر للطبقة " ماتحت الكادحة " في الكفاح المسلح ، هو قبل كل شيء وضعها الاجتماعي كطبقة تعيش في منازل قزديرية .

و في الحقيقة ، الذين يقطنون هذه الاكواخ القزديرية هم الجماهير الريفية ، أجبرها تجريدها من أراضيها و أملاكها من قبل الاستعمار الى النزوح، لذا، الثورة التي تكون قد أنطلقت في الارياف، لن تدخل المدن الا بواسطة هذا الجزء المحروم من حقوقه الطبيعية ، مثل ما وقع في الجزائر هذا ما جعل " فانون " [illegible] بأنها " من بين القوى الثورية في الشعب المستعمر الاكثر عفوية و جذرية " (2) وحجته ، ثورة " الماو ماو " MAO MAO في كينيا KENYA

---

(2) فرانتز فانون ، معذبوا الارض ، ص 99.

يحس سلطات الاستعمار البريطاني اجراءاته الارهابية و القمعية ضد الطبقة " ماتحت الكادحة " و في "الكونغو OONGO " ، أين اتخذت السلطات الاستعمارية سنة (1957م) قرار نقل هؤلاء المجرمين الى الريف بدعوى أنهم يعكرون صفو الامن و الهدوء في المدينة ، و بهذه الطبقة في مرحلة ثانية يظهر التضامن بين الريف و المدينة

و من هنا يستمد " فانون " مفهومه " للبراكسيس المطلقة PRAXIS ABSOLUE " أو بتعبير آخر " الممارسة الثورية " ، و التي تتجلى في العمل الثوري و في تعميم وسيلة العنف على جميع المستويات و الاصعدة ، و هذا تمثيل جديد لجدلية " هيغل " بين السيد و العبد ، فالمستعمر ، عندما يأخذ السلاح ، يبعث من جديد و يصبح بذلك " موضوعا تاريخيا SUJET HISTORIQUE " لانه هو الذي يشكل وجوده و يسطر مصيره (1).

و اذا كان " فانون " يستثني الطبقة البروليتارية من هذا العمل التاريخي، لا لشيء الا لكونها تتمتع ببعض الامتيازات ، علاوة على هذا ، يرى فيها برجوازية ناشئة ، و من الذين يصنفهم في هذا الخط : " سائقوا الحافلات ، عمال المناجم ، عمال الموانيء ، الممرضون"(2).

(1) CHEIK SLIMANE, l'Algérie en armes ou le temps de certitudes, OP CT, P 218.

(2) فرانتز فانون، معذبوا الارض ، ص 85.

و الغريب أن " فانون " يرى فيها أكثر الطبقات الاجتماعية وعيا ، لكن، حتى و ان كانت كذلك - أي واعية سياسيا فلا يمكن الاعتماد عليها ، لان البروليتارية التي تقطن المدن تتمتع بامتيازات لا يمكن أن تتنازل عنها في سبيل الثورة ، و هذا يعني أن العمال الذين أعتبرهم " ماركس " محركوا التاريخ ، يمثلون الطبقة البورجوارجية عند " فانون" و بهذا تضيف الى العمال البورجوازيين في الدول الرأسمالية عند " ماركزز **MARCUS**"، العمال البورجوازيين عند " فانون " في الدول الافريقية .

و ثمة فرق يجب الاشارة اليه ، هو أن العمال في الدول الرأسمالية عند " فانون" تمثل قوة ثورية لانها كما يقول : " لا تخشى أن تخسر بالثورة شيئا " (3) عكس البروليتارية

---

(3) فرانتز فانون ، م. س ، ص 85.

الافريقيــــة ، أمـا " ماركوز"، فينظــــر الى الطبقــــة العاملــــة فــــي النظـــــام الرأسمـــــالي، كطبقـــــة اجتمـــــاعيـــــة فقدت مميزاتهـــا الثـــــوريـــــة ، في حيـــــن يلاحـــــظ أن العمـــــال الافريقييـــــن و عمـــــال دول العـــــالم الثالث بصفـــــة عـــــامة ، هم احـــــدى القـــــوى الثوريـــــة في المجتمـــــع المعاصر (1).

و برفـــــض " فانون " الطبقـــــة العاملـــــة في افريقيـــــا انمـــــا يرفض جوهـــــر النظريـــــة الماركسيـــــة ، بيد أنه من الغريـــــب أن نجـــــد بعـض المفكريـــــن اليساريـــــن الذيـــــن يعتبـــــرون هـــــذه الافكـــــار مناهضـــــة للفلسفـــــة الماركسيـــــة ، يجـــــدون فيهـــــا اسهـــــاما جديـــــدا في تطويـــــر النظريـــــة الماركسية ، مثل " جورج طرابيش " الذي يـــــرى فيهـا " مساهمـــــة نوعية في اغنـــــاء النظريـــــة الماركسيـــــة النقـــــدية الكبـــــرى "(2).

و الحقيقة ، اذا كانـــــت هنـــــاك مســـــاهمـــــة نوعيـــــة فلكون " فانون " حـــــول مفهـــــوم الصـــــراع أو العنف من صراع طبقـــــي بيـــــن العمـــــال و الرأسماليـــــن الى صـــــراع بيـــــن المستعمـــــر و المستعمـــــر و بهـــــذا المعنـــــى ، يكـــــون تصور " فانون " فـــــي نظرنـــــا ترجمـــــة جديـــــدة للفلسفـــــة الماركسيـــــة .

كان لا بد أن يلفت " فانون" أنظارنـــــا الى الطابـــــع الضعيـــــف للطبقـــــة العاملـــــة ، لكـــــن " تبرجزها" لا يبـــــرر - بأي حـــــال مـــــن الاحـــــوال - استبعـــــادهـــــا من الكفـــــاح المسلـــــح، لان حتـــــى العمـــــال يعانـــــون مـــــن الاستغـــــلال

---

(1) HERBERT MARCUSE, L'homme unidimensionnel, col POINTS, 1968 Pour la traduction Française, PARIS, P 62 et suivantes.

(2) جورج طرابيش ، الاستراتيجية الطبقية للثورة ، ص 1966.

في ظل المنظومة الاستعمارية، و الجزائر التي جعلها " فانون" بلدا له كان دور الطبقة البروليتارية مختلفا لما كان يعتقده ، فاضراب مائة ألف (100.000) عامل في عام (1947م) بما شملته من معارك في الشوارع، و اضراب ستين يوما للعمال المناجم في سبتمبر - نوفمبر سنة (1951)، لدليل على دور الطبقة الشغيلة في عملية التحرر، أضف الى ذلك، قرار جبهة التحرير الوطني في بداية (1957م) بتنظيم أسبوع من الاضرابات العامة أثناء مناقشة الجمعية العامة للامم المتحدة القضية الجزائرية وكانت استجابة العمال واسعة، و هكذا، برفض " فانون" للطبقة البروليتارية من عملية الكفاح المسلح، فانه يكون قد رفض " الطبقة الثورية الرئيسية في المجتمع الحديث " (3).

---

(3) جاك وودس، نظريات حديثة حول الثورة، ترجمة محمد مستجير مصطفى دار الفارابي بيروت 1978، الجزء الثاني ، ص 237.

أما البورجوازية الوطنية، فإن "فانون" لا يشعر تجاهها الا بالاحتقار و العداء، شأنها في ذلك شأن الاحزاب السياسية و العمال "المتبرجزين"، الذين يرى فيهم قوة مضادة في الكفاح المسلح" و السبب في ذلك، أنها تلعب - في نظره - دور الوكيل للبورجوازية الغربية مقابل أرباح رخيصة (1)، هذا الطموح في تكديس الارباح يرمز الى عجزها عن النهوض بدورها التاريخي، لذا هي مجرد طبقة اجتماعية مستكشفة "العالم الجديد" التى تستمد منه تعاليمها، كما يصفها بالانحطاط لانها لم تقطع مراحل التطور التى قطعتها البورجوازية الاوروبية باعتبارها طبقة اجتماعية لها تاريخها و أخلاقها و قيمها - أبعد من ذلك لا يرى أي اختلاف بين سلوك المعمر أثناء الاحتلال و سلوك البورجوازية الوطنية بعد الاستقلال، حيث تعمد في هذه المرحلة و بأساليب ماكرة على وضع يدها على المزارع التى كان يملكها المستوطنون الاجانب (2).

و لا أخلاقيتها تكمن في نظرتها الاستغلالية للاقتصاد.

---

(1) فرانتز فانون، معذبوا الارض، ص ص 117

(2) فرانتز فانون، م، س ص 118

و هكذا، يجد " فانون " مبررات اقتصادية في رفضه للطبقة البورجوازية أثناء الثورة المسلحة و بعدها، و في الاخير لا يترك لنا مجالا للاختيار فالطبقة البورجوازية يجب استئصالها من جذورها في الدول المتخلفة، و من ثم يجب على حركة التحرر الوطني أن تقضي عليها حتى لا يخرج المستعمر من الباب ليعود من النافذة و يقول : " في البلاد المتخلفة، يجب أن لا تتوفر للبورجوازية شروط الوجود و الازدهار" (3).

و يخشى " فانون" أن تكون ديكتاتورية الحزب الواحد مجالا لتطور البورجوازية في الدول المتخلفة مما يؤدي الى ظهور رأسمالية الدولة، لذا يجب - في نظره - أن تتظافر الجهود بين الحزب و الشعب، و يقوم المثقفون الواعون على سد الطريق أمام هذه البورجوازية العقيمة (4)، و يجب على الحزب أن [illegible] أداة بين أيدي الحكومة بل أداة بين أيدي الشعب، و بهذا المعنى الحزب هو الذي يقرر برامج الحكومة السياسية حتى يكون الناطق بلسان الشعب و المدافع عن حقوقه لان العنف الثوري هو عنف الثورة الاشتراكية

---

(3) فرانتز فانون ، م، س ، ص 133

(4) فرانتز فانون ، م،س ، ص 133

التحليل النفسي للعنف :

ان مظالم الاوضاع و قسوة الاغنياء و استعباد الشعوب، من شأنها أن تشعر الانسان بقهرلحريته و أقلها تقييد وجوده، و لايمكن أن يكون وضع الانسان مأساويا، لو لم يكن ممسوسا في عاطفته و كرامته و كثيرا ما تتخطى هذه الاوضاع العنيفة لتبلغ بعدا أخلاقيا، فمكافحة الظلم و مقاومة الاستغلال و الاستبداد كثيرا ما ظهرت على أنها حوافز لعمل يستهدف الثورة، هذا التناقض بين ما يشعر به الفرد من حاجاته و خيبة الامل، كفيل بتفسير عنف المستعمر على المستوى النفسي و أيا كان الرأي بشأن التحليل النفسي عن أصول العنف، فان " فرويد FREUD " تصوره و لزمن طويل على أنه اندفاعه لا شعورية، مرتبطة باندفاعه " الليبيدو" أي أن العنف من آثاره، لان " الليبيدو ك " غريزة الغرائز" كما يسميها، هي تلك الطاقة الحيوية التي تبعث فينا التمتع و العمل و خاصة التمسك بالحياة (1).

---

(1) ميشال كورناتون، جذور العنف الحيوية و النفسية الاجتماعية، في المجتمع و العنف، م، ذ، ص 70.

و بذلك يكون العنف جوابا على أشكال الحرمان التي يفرضها الواقع على "الليبيدو" و بهذا المعنى تكون وظيفة "الليبيدو" المحافظة على الحياة داخل مجتمع يكون في خدمته .

و مقابل "لذة الحياة" (EROS)، هناك "غريزة الموت" (THANAROS)، و يمكن لغريزة الموت أن تكون منبعا لانتصار "لذة الحياة" (EROS) و خاصة اذا سلمنا بالقياس الصوري الفرويدي، أن بداية كانت موت أي عدم وجود الانسان، و الحياة هي بداية الموت، و غايتها هي الموت (2)، و ان كنا لا نسلم مع "فرويد" بأن مبدأ الموت هو النهاية المنطقية للوجود الانساني كله ، الا أن نظريته تبقى في غاية من الاهمية لتفسير عنف المستعمر على المستوى النفسي و ميله الى العدوانية - رغم ما ينطوي عليه هذا المبدأ من تشاؤم .

---

(2) ميشال كورناتون، م س ، ص 71.

و في الحقيقة ، الحياة هي " مزيد من حياة، و أنها تكتسب باستمرار صفات جديدة ، على النقيض من الموت الذي لا يعرف التطور " و (1).

و هذا ما يدركه الانسان المضطهد في الوضع الاستعماري، أي أن العنـــف يحمل الحياة و الحرية ، كما يحمل فكرة الخطر أي الموت، و ذلك بانزالها على بعـض المستعمريـن أنفسهم ليعيش البعض الإخر في مجتمع حر.

و هذا، تبدو لنا آثار النظرة " الفرويدية " في تفسير " فانون" لنفسيـــة المستعمر و تلاشي عدوانته في مختلف الحركات التي تقوم بها، حيث يمد العنـــف في مرحلة أولى الشعور بأسبـــاب خوف المستعمر من المعمر، ويكون العنـــف من هذا المنطلق عمليـــة استئصالية لعقد المستعمر النفسيـــة اللاشعوريـــة لتشحذ معهـــا طاقـــة تعبر عـــن بدايـــة و عيه بأنه ممسوس في حقـــه الطبيعي، و بهذا المعنى يبزغ الكائن الواعي الذي سيقود الثورة من الكائـــن اللاواعي، و هنا نلاحظ أن " الثانروس" هو منبع الحياة أي " الايروس" و هـــذا تمثيل جديد لنظرية " فرويد" في تفسير أصل عنف المستعمر على المستوى النفسي.

و هكذا ، يكون العنف استجابة لمبدأ حب البقـاء كغريزة ، و مادامـــت غريزة حب البقاء هي سبب العنف، فلا بد أن يكون عاملا من عوامل تغييـــر سلوك المستعمر و لاسيما في الوضع الاستعماري، هذه الازدواجية النفسية ، أعتبرهـــا " فانون " ثمرة الخطيئة التي ارتكبها المستعمر في حق المستعمر، و يكـــون العنف النفسي، استجابة نفسية مرتبطة بحوافز خارجية ، فالقمع يولد دائمـــا الشعـــور بالحـــرمـــان مشـــل الشـــر

---

(1) ميشـــال كورناتون ، م س ، ص 72.

المطلق، الشيء ، الذي سيحول عنف المستعمر أكثر حدة من عنف المعمر.

غير أن الفرق بين " فانون " و " فرويد " ، هو أن هذا الاخير ينظر الى " الليبيدو " و علاقة " الايروس " بـ " الثانتوس " من زاوية جنسية محضة ، في حين ينظر اليها " فانون" من منظار سياسي - نفسي و هنا ، تبدو لنا مساهمة النظرية " الفرويدية " في تحليل " فانون" نفسية المستعمر المضطهد.

و هكذا ، يستنتج " فانون" ، أن العنف يمكن أن يكون في خدمة الموت - أي قهر نفسية المستعمر و القضاء عليها من طرف المعمر - كما يمكن أن يكون في خدمة الحياة لما يمارسه الانسان المضطهد و هو الاكتشاف الذي يعبر على النحو الذي تصوره عن قدرة العنف التطهيرية ليكون الباعث الحيوي للحياة الجديدة.

الأســـس الانســـانيـــة للعنف عنـــد " فانون " :

ان الذين يرون في العنف " الفانوني " نزعة ذاتيـــة ناشئـــة عـــن وضعـــه كمثقـــف فردي، فانهـــم أبعـــد ما يكونـــون عـــن الـــواقـــع، لان العنـــف ليـــس نظريـــة المالونـــات بل يتطلـــب خبـــرة ميدانيـــة و ممارســـة فعليـــة في ساحـــة المعـــارك (1)، ثـــم البديهيـــة التـــي تقـــوم عليهـــا نظريـــة العنـــف عنـــد " فانون" هـــي ضرورتـــه للنـــوع البشـــري، و فـــي أوضـــاع خاصـــة، و يكـــون استجابـــة لمبـــدأ انسانـــي خاصتـــه رد اعتبـــار الانسان المضطهـــد.

و لا يهتم " فانون" بالعنف من أجـــل العنف كمـــا هـــو الحـــال عنـــد " نيتشـــه "، بـــل ينظـــر اليه كظاهـــرة لا يمكـــن فصلهـــا عن عواملهـــا التاريخيـــة و الثقافيـــة و السياسيـــة .... الخ، التي تحيـــط به، فالتجـــاء المستعمـــر للوســـائل العنيفـــة ليـــس مجـــرد اختيـــار اعتباطي، لان العنف هـــو ماهيـــة الوضع الاستعمـــاري في حد ذاتـــه لذا نجد " فانون " يصرح منـــذ البدايـــة في كتاب " معذبو الارض " أن محـــو الاستعمـــار " لا يمكن أن يكون ثمرة عمليـــة سحريـــة أو زلـــزال طبيعي" (2).

---

(1) IRENE GENDZIER , FRANTZ FANON , OP CT ,P 214 .

(2) فرانتز فانون ، معذبوا الارض، ص 34.

أي أن محو الاستعمار هو عبارة عن تعويض " نوع" انساني بـ " نوع " انساني آخر" الذي يحل محله ، و بهذا المعنى يتناول العنف وجودا بأكمله و ذلك بماله من قدرة على تغييره ، و المستعمر " الشيء" يصبح بمثابة انسان بقدر ما يحقق ذاته من خلال عملية التحرر.

و في مثل هذا الوضع، بامكان العنف الثوري -
و يجب أن نفهم الكفاح المسلح أن يكون عاملا طبيعيا في التطور التاريخي للانسان المضطهد أفلا يرتضي الناس أكبر التضحيات للدفاع عن بعض العقائد أو المبادىء كما تبرهن على ذلك الحروب الدينية أو معارك التحرر الوطني ؟

و هنا بالذات تكمن ضرورته بالنسبة لـ " فانون ". لان المشكلة الاستعمارية ليست حوارا في العدالة و المساواة بين المستعمر و المستعمر.

ويرى بعض المفكرين في هذه الضرورة، موقفا متميزا لان، التحرر في نظرهم يمكن أن يتحقق بواسطة العمل السياسي أو بواسطة مظاهرات التمني هي شكل من أشكال النضال و صورة من صور العنف (1)، و في الحقيقة، هذا تشويه لفكر " فانون" الذي يرى في فصل " مزالق الشعور القومي " من كتاب " معذبو الارض" أنه يمكن لشعوب أخرى أن تحقق استقلالها بواسطة النضال السياسي لتصل الى نفس النتائج التي توصلت اليها الجزائر، و بما أنه نادرا ما يتخلى الاستعمار تلقائيا عن وجوده داخل المستعمرات، فان التغيير لا محالة سيكون عنيفا، و على كل فهو عنيف في الوضع الاستعماري بصورة أو بأخرى، و المستعمر لا يسعه الا أن يكون ثوريا، و يكون العنف الباعث الوحيد للحياة الجديدة و الوسيلة الوحيدة لخلق" انسان جديد "l'homme nouveau" و هنا نلاحظ أن " فانون" ينظر الى العنف كوسيلة تحمل في طياتها قيمة أخلاقية تهدف الى تحقيق تآزر الفرد الجديد بالمجتمع الجديد الذي يخلو من كل المظاهر العنيفة.

---

(1) جاك وودس، نظريات حديثة حول الثورة، م.ذ، ص 12

و قد اعتاد بعض المفكرين التمييز بين موءلفات " فانون " على حسب ترتيبها الزمني و التاريخي (2) بحجة أن كتاب " معذبو الارض "، هو تتمة لكل المبادىءالتى كان يوءمن بها في كتاب " بشرة سوداء ، أقنعة بيضاء "، و ما يجب الاشارة اليه ، هو أن انسان " معذبوا الارض " في نظرنا ، هو امتداد لانسان " بشرة سوداء، أقنعة بيضاء"، و الملاحظ أن الاختلاف لا يكمن الا في الوسائل التى يقترحها " فانون " على الانسان المضطهد.

فبينما كان ينظر الى مشكلة الانسان الزنجي كمشكلة نفسية - اقتصادية ، تقتضي القضاء على الاستغلال و العنصرية ليعيش الزنجي جنبا مع الرجل الابيض، نراه

---

(2) محمد الميلي ، فرانتز فانون و الثورة الجزائرية ، م ذ ، ص 32.

في كتاب " معذبوا الارض"، يقترح على الانسان المستعمر وسيلة العنف حتى يعمل على تحقيق ذاته من خلاله و [illegible]، و معنى ذلك، أن الجزائر بأحداثها مكنت "فانون" أن يعيش تجربة ميدانية مباشرة، تختلف في جوهرها عن تجربة " بشرة سوداء، أقنعة بيضاء".

و الواقع ، أن " فانون" في كتابه الاول، كان ينظر بحذر الى الرجل الابيض، لذلك نراه يشترط استقرارا سياسيا و اجتماعيا يجمع الانا الزنجي بالابيض في مذهب انساني غير أنه كان يدرك في قرارة نفسه أنهما أمران لا يمكن توافرهما لما للعوامل الاقتصادية من تأثير على علاقة الانسان بالانسان (1)، و هذا الحذر الذي كان يبديه في كتاب " بشرة سوداء، أقنعة بيضاء،" سرعان ما تأكد بالتماسه لانانية المستعمر في الجزائر و خلوه من الاخلاق و استغلاله لثروات المستعمرات، قادته تأملاته بناءا على ثنائية الوضع الاستعماري كما تم توضيح ذلك -، أن المستعمر المتخلف لا يمكن أن يوصف بـ " الحيوان السياسي " الا بواسطة العنف (2)، و من هذه الزاوية ، لا يكون العنف غاية في حد ذاتها، و انما وسيلة تستهدف غرضين في آن واحد، القضاء على الاستعمار من جهة ، و خلق انسان جديد من جهة أخرى.

و الدليل على ذلك، أن فانون يعترف بأن ممارسة العنف يمكن أن تفلت من مراقبة قادة الثورة ، و ذلك بما للعدو من أساليب نفسية لتضليل المستعمر .

حيث ينتقي الاستعمار من بين مختلف الطبقات الاجتماعية جموعها المضادة للثورة أو لاساليبها، لتبادر على تنظيمها و ضمها الى صفوف جنوده المأجورين ليقاتل المستعمرون بعضهم بعضا، و يرى " فانون" أن مثل هوءلاء، هم الذين أمدوا الاستعمار في الجزائر كـ " اتباع مصالي الحاج"، و هم الذين ساعدوا الاستعمار على البقاء

---

(1) F. FANON, Peau noir, masques blancs, OP CT, P 6 .

(2) فرانتز فانون، معذبو الارض م 6، ص 67.

في أجـــــو لا ANGOLA (1)

و هنـــا، نلاحظ أن " فانون" ينظر الى العنف كسلاح ذو حديـــن يجب استخـــدامـــه بحـــذر، و من ثم على الثـــورة أن تبادر بســـد الفـــراغ الايديولوجي و توعيـــة هوءلاء المأجوريـــن حتى لا يستخدمـــوا كقـــوة مضـــادة تفقـــر الثورة من فعاليتها (2)، و بهذا، لا يمكـــن اعتبـــار الثورة المضادة لعملية التحرر ـ سواء كانت على المستوى الفردي أو الجماعي ـ بمثابـــة قوة ثوريـــة . (3)

و لا يخفي " فانون" ، أن هذا الاقتتـــال يمكن أن تمتد آثـــاره حتـــى فـــي مرحلة ما بعد الاستقلال، و ينحرف عن غايتـــه الا وهي خلـــق مجتمـــع انيـــاني جـــديد.

يتضـــح لنـــا، أن البعد الانساني، هو الذي يبرر شرعيـــة العنـف سيـــاسيا و أخلاقيا كوسيلـــة من وسائل التحرر، و هذا هو الاساس الذي يبني عليـــه " فانون" نظريته في العنف.

---

(1) فرانتز فانون، م‌س ، ص 105

(2) فرانتز فانون، م‌س ، ص 106

(3) MICHEL GIRAUD, PORTEE ET LIMITES DES THESES DE F. FANON SUR LA VIOLENCE, IN MEMORIAL INTERNATIONAL FRANTZ FANON, PRESENCE AFRICAINE, DAKAR, 1984, P 81 .

خلاصة الفصل

كيف تصنع الثورة ؟ هذا هو السوءال الذي سيطر على أفكار " فانون" و أفكار من . أرادوا تغيير العالم، و من زاوية انتقادية للنظام الرأسمالي، وضح مفكرنا نظريته في الثورة التي تهدف قلب النظام الاستعماري بواسطة العنف الذي قدمه كوسيلة موضوعية لعنف المعمر داخل المستعمرات.

غير أن طابع التمرد و الثورة في منظومة " فانون" الفكرية لا يمكن دراستها الا على ضوء الواقع و الممارسة الفعلية للنضال الثوري، لهذا السبب لا يسعنا الا أن نسترشد بالثورة الجزائرية الذي كان يستلهم منها الاطار النظري لفكره السياسي عامة و الثورة خاصة.

و من هنا، بات لزاما أن نبرز تأثير الثورة الجزائرية في الفكر الفانوني من جهة و موقفه منها من جهة أخرى.

فـــانون و الثـــورة الجزائريـــة

ليس من الغريب أن تجد الثورة الجزائرية مكانتها في أعمال " فانون" الفكرية و التي كانت ميدانا خصبا لكل مقالاته و مؤلفاته الأخيرة .

و حتى " فانون" ذاته يعترف ضمنيا في بعض مقالاته أنه فخور و يعتز أن يكون واحدا من أبناء الثورة الجزائرية ، و الا كيف يمكن أن نفسر ذلك الانتقال من " الانا" الزنجي الذي يتخلل كتاب " بشرة سوداء، أقنعة بيضاء" الى " نحن " الجزائريون و الذي يترجم الانتماء الى أناس يقاسمونه بعض ما يخفيه داخل وجدانه ؟

و مما لاشك فيه ، أن مفكرنا ، لما جاء الى الجزائر كمدير لمستشفى الامراض العقلية بالبليدة ، أحس بأن الجزائري رغم بياض بشرته يعاني من مطامع الرجل الابيض، و حتى و أن ابيضت بشرته سيبقى هو أيضا موضوعا لاحساس نوعي يشعر به ازاءه الرجل الابيض على أنه صاحب الحق و صانع الحضارة ، و هكذا ، اقترن باحساس

فانون أن المستعمر عنصر [illegible] الرجل الابيض الذي يطارده أينما كان. وبهذا، العامل المشترك بينه وبين الجزائري "ليس الوضعية الجنسية وانما الالتقاء عند حانع هذه الوضعية الزنجية في صورة جديدة وفي قناع جديد، هو قناع الرجل المستعمر" (1).

وأمام هذا الوضع، كان على "فانون" كرجل مثقف أن يبحث عن وسيلة

---

(1) د/ عبد الرحمن حيفري، فرانتز فانون، منشورات وزارة الثقافة والسياحة الجزائر، 1985، ص 21.

[illegible] ون أمي[illegible]

و قد استطاع أن يوظف [illegible] أول مسيرة المنهج الظاهراتي PHENOMENOLOGISME

و اذا أمعنا النظر في أسلوب فانون، فان أول ما يلفت انتباهنا، هو تأثره بالفلسفة الظاهراتية و التي هي مذهب نفساني بحت، و تقوم هذه.

و ان كانت قد انفصلت عن علم النفس في بداية هذا القرن،(1) على وصف الظواهر الاجتماعية وصفا نفسيا.

و مما يؤكد ذلك، حضور فانون لمحاضرات الفيلسوف الفرنسي الظاهراتي "موريس ميرلوبونتي" 1950 (2)، و حتى انتماء فانون لليسار الفرنسي كان يهدف في الحقيقة متابعة المذهب الظاهراتي عند "سارتر" و "ميرلوبونتي" بوصفهما الممثلين الفرنسيين للفكر الفينومينولوجي الالماني الحديث و الذي يعنيه كمختص في الطب العقلي (3).

---

(1) عبد الفتاح الديري، الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة ، دار القومية للطباعة و النشر، القاهرة 1966، ص 21.

(2) راجع الملحق الثالث من كتاب "علم الاجتماع عند فرانتز فانون" لفليب لوكاس ص 195.

(3) عبد الفتاح الديري، الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة ، ص 29.

ويرى الفيلسوف الالماني " ايدموند هوسول" HUSSERL (1938)، الذي يعتبر موءسس التيار الظاهراتي، أن القصدية INTENTIONALITE هي الفكرة الاساسية في المنهب الفينومينولوجي، و يعرفها بأنها هي خاصية كل حالة نفسية شعورية، أي أن يكون كل شعور هو شعور بشيء ما، و يكون هذا الشيء هو الموضوع الدائم للشعور، و بهذا المعنى يمكن وصفه دائما.

و يعرف عبد الرحمن بدوي " [illegible] الحالة على أنها " تضايف متبادل بين القصد بالمعنى الاوسع و بين الموضوع المقصود" (1).

و كمشتغل في الطبيب العقلي، كان لابد أن يتطلع فانون على النتائج التي توصل اليها المذهب الظاهراتي في الطب العقلي و اعتمادا على ملاحظاته، استطاع أن يكشف عن نظام سياسي لا يحترم أبسط القيم الانسانية (2) و بالتالي الاستعمار هو سبب عدد كبير من المصابين بالامراض العقلية.

و اتجاه " لانج" LAING الجديد في الطب العقلي ينهج هذا الاتجاه، حيث يرى أن سلخ الانسان عن محيطه البيئ و القضاء على ثقافته عاملان من عوامل ظهور الامراض العقلية و القضاء على " الانا" كذات واعية (3).

---

(1) عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، الطبعة الاولى، بيروت، 1984، ص 541.

(2) فانون، من أجل افريقيا ص 38

(3) عبد الرحمن حيفري، فرانتز فانون، ص 30.

و قد مكنت ممارسة فانون الميدانية تتبع مراحل تطور الثورة الجزائرية و مختلف التغيرات التي أحدثتها، و عمل على تقلها لمعرفة أسبابها.

هذا الوصف، هو الذي كان موضوع كتاب " سوسيولوجية ثورة" أو " الثورة الجزائرية في عامها الخامس".

و كانت أول مساهمة " فانون"، كتابة سلسلة من المقالات في جريدة المجاهد السرية".

فانون و جريدة المجاهد :

دامت مساهمة فانون في الجريدة من سبتمبر 1957 الى جانفي 1960 و ظهر أول عدد منها في جوان 1956 باللغة العربية و الفرنسية .

و أول مقال لفانون ظهر في سبتمبر 1957، أي لما كان مقر المجاهد في مدينة " تطوان " بالمغرب، و ما يلفت الانتباه هو أن كل المقالات كانت تنشر دون أسماء أصحابها، و من هذه الزاوية، يصعب التمييز بين مقالات " فانون" و المقالات الناطقة باسم ادارة الجريدة أو مسؤول التوجيه السياسي، في نفس السنة، حول مقر الأدارة من المغرب الى تونس و تبقى طبيعة مشاركة فانون في جريدة " المجاهد السرية " موضوعا للتساؤل حول مسؤولياته في التوجيه السياسي للجريدة، و خاصة اذا كنا نعلم العلاقة الحميمة التى كانت تجمعه بأعضاء جبهة التحرير الوطني، و اذا اعتمدنا على مقالاته التى نشرها بين 1957 و 1960، فان مشاركته تبدو غير وافية من حيث عدد المقالات، لكن هذا لا يدل على عدم مساهمته في توجيه الجريدة سياسيا .

و اذا كان " محمد الميلي " يؤكد على أن اختيار المواضيع، اختيارا تفرضه ادارة الجريدة، فلا يستطيع بالمقابل، أن ينكر الطابع المميز الذي تنفرد به مقالات " فانون" من حيث أصالتها اللغوية التى هي خاصية أسلوبه ،و اذا كان هناك تطابق بين مواقف فانون و آرائه السياسية و مسيري الادارة، فهذا ما لا يمكن معرفته بدقة .

إذا . مـــن الصعـــب معرفـــة ما لفانـــون و خاصـــة آراءه تلـــك التـــي تتعلـــق بالسياســـة الخارجية.

و ركـــز " فانون" في مقالاتـــه على أربعـــة مسائل أساسيـــة و هـــي : الاستعمـــار الفرنســـي في الجزائر، ردود فعل اليســـار الفرنســـي بما فـــي ذلـــك الحـــزب الشيوعـــي، مواقف جبهـــة التحريـــر الوطني تجـــاه الاقليـــات و أخيـــرا أحداث افريقيا.

و لا تعتبـــر هذه المقـــالات تشريحا للنظـــام الاستعمـــاري بل مجـــرد وصف لظـــواهر سياسيـــة و اجتماعيـــة داخل المنظومـــة الاستعمـــارية و أول ما يميـــز هـــذا الواقـــع السياســـي هو توكيـــد فرنســـا بكـــل تنظيماتهـــا السياسيـــة و الطبيقيـــة علـــى أن الجـــزائر امتـــداد طبيعـــي لهـــا و الحـــال، أن موقـــفا مثـــل هـــذا لا يساعـــد على ايجـــاد حـــل لمشكلـــة الجزائـــر بل يزيدهـــا تأزمـــا، ممـــا انعكـــس علـــى عـــلاقـــة اليســـار الفرنســـي بالثـــورة الجزائريـــة من جهـــة ، و "بفانون" من جهة أخرى، و ما لبـــث هذا الاخيـــر ، أن كتب ثلاث مقـــالات تحت عنوان " المثقفون و الديمقراطيون الفرنسيون أمام الثورة الجزائرية" (1).

---

(1) المقالات الثلاث صدرت بتاريخ 1، 15 و 30 ديسمبر سنة 1957، جمعت كلهـــا في فصل تحت عنوان " المثقفون الديمقراطيون الفرنسيون أمام الثورة الجزائرية".

فانون و اليسار الفرنسي :

يبدأ فانون مقاله بتبيان الواجبات التي تقع على كاهل المثقفين و الديمقراطيين الذين يعيشون داخل المستعمرات.

و في مقدمتها مساندة مطالب الشعوب المضطهدة، و كما يرى غالبا ما يتوقف هذا التضامن على بعض الاجتماعات و المصادقة على بعض اللوائح التي لا تؤثر على حركة اليسار الفرنسي السياسية.

و يجب الاعتراف بما لهذا الاختيار من صعوبة فاعتصام غالبيتهم

الممسست دليل عسن امتسانهسم لفرنسسا و جنودهسسا ، و اذا كسان في نظرهسم على حرب الجزائر أن تتوقف لا لشيء الا لانها أصبحست غاليسة الثمن.

و الحل لا يتمثل في استقلال الجزائر و انمسا العيش داخسسل كونفيدير اليسسة موحدة ، و الكفاح ضد الاستعمار يعني في منظورهم - الكفاح ضسد الاقدام السوداء PIEDS NOIRS و حجتهم أن جبهة التحرير الوطنسي كانت دائما تقف موقف اللامبالاة تجاه آراء المثقفين الفرنسيين في شأن الثورة . و يرى فانون أن المحرك الحقيقي لتلك الانتقادات هو رغبتهم في توجيه الحركة الوطنية (1)، و كأنه اعتزاز يلهمهم حين تعتبرهم الثورة هم المرجع الاساسسي لها، و حتى كلمة " استعمار" لا تعني غزوا أو احتلالا عسكريا، بل تعني فسسي نظرهم نقل مشكلة الاحتلال من نطاق وطني الى مجال نفسي، و يكون بهذا المعنى مفهوم الاستعمار هو : " اتخاذ مواقف و سلوك أقل عنصرية و أكثر تحررا علسسى المستوى الفردي " (2)، أي " عدم الاعتراف بحق الشعوب في تقرير مصيرها (3)".

و هنا يذكر " فانون" الفرنسيين الذين رفضوا أن يعملوا تحت أوامر الالماني النازي " سبيدل SPEIDEL " فيجب أن يرفضوا العمل تحسست أوامر " مارسو MASSU " أو " سالان SALAN " (4).

لكن و ان كان رفضهم ضمنيا ، فانهم كانوا ينظرون بعين أخرى السسى أن الجزائر امتداد لفرنسا ، فمن يضمن لهم بأن الجزائر لن تنحاز الى كتلسسة ما ؟ و لما يفرض عليهم اختيار سياسي، الا يمكن أن يحل الاستعمار الاحمر محسسل الاستعمار الفرنسي ؟ و هكذا يرفض اليسسسار غير الفرنسسسسسسي.

---

(1) فرانتز فانون ، من أجل افريقيا، ص 66
(2) فرانتز فانون ، م س ص 68
(3) فرانتز فانون ، م س ص 70 68
(4) فرانتز فانون ، م س ص 70

حصر جهـــوده في اطـــــار ايديولوجيـــة جبهة التحرير الوطني.

كما أن الضمانات التي يطلبها اليسار الفرنسي الشيوعي تخفي أساليبهم الرخيصة في ابقاء الجزائر تحت وطأة استعمار جديد، و كأنهم يقولون لنـــــا " أعينونا على اعانتكم" أي " قولوا لنا أين تنوون الذهاب بعد الاستقلال" (1) و هنا يمكن أن نشير الى ما لهذا القلق من اعتبارات ذاتية و سياسية.

ان مشكلة الجزائر، ليست مشكلة اصلاح اجتماعي أو اقتصادي،بل مشكلـــة علاقات فعلية قائمة على أساس القوة، و بهذا المعنى لا فرق بين المستعمـــــر الطيب و المستعمر الشرير كما حاول أن يميز بينهمـا " ألبير ميمي " A. MEMMI " و لا معنى للحركات الفردية التي تتجسد في بعض الفرنسيين الذين يعملون فـــي صفوف جبهة التحرير الوطني.

ان اليسار الفرنسي الذي يكشف الشطط و ينتقي الافراد من مناصريـــن و معارضين، لا يضيف أي شيء لقضية الجزائر، بل يخفي كما يرى " فانون" تعلقهـــم بخرافة " الجزائر فرنسية "(2). و ما يهدفون اليه هو تزايد نسبة الحريات الفردية.

و هنا بالذات، يمكن أن نفهم تمرد " فانون" على اليسار الفرنسي، حيـث كان ينظر اليه أنه هو الاطار الوحيد سواء كان ذلك على المستوى النظري أو العلمي لحل مشكلة الزنوج و مشكلة الانسان المستغل.

لذا نراه يتساءل في آخر مقاله : " هل فات الاوان ؟ " و الثورة الجزائرية في عامها الثالث ؟ .

---

(1) فرانتز فانون، م س ، ص 73

(2) فرانتز فانون، م س ، ص 76

لم يفقد " فانون" الأمل في اليسار الفرنسي، لانه وجد في بعض الشخصيات الفكرية اليسارية وسيلة للتأثير على الرأي العام الفرنسي.

حتى أنه ذات يوم طلب من " سارتر SARTRE " أن يكتب مقـــالا في مجلة " الازمة المعاصرة LES TEMPS MODERNES " يعلن فيـــه معارضته لمواقف الحكومة الفرنسية و تبنيه قضية الجزائر، و لم يخف " فانون " أمنيته أن يرى " سارتر" داخل السجن حتى يكون له انعكاس سياسي على أحداث الجزائر.

و بهذا لم تكن مقالات " فانون" الثلاث تهدف اليسار الفرنسي فقـــط بل و حتى الصحف الفرنسية التى لم تنهض بدورها خوفا من"الخيانة الكبرى".

و في مقال " الاستعمار نظام" نجد " سارتر" ينظر الى حرب الجزائـــر على أنها حرب اقتصادية بمعنى أنه يجب تغيير البنية الاقتصادية و علاقـــات الانتاج، واجتماعية لانعدام المدارس و المستشفيات و نفسية لان علاقة " الانـــا" الجزائري بالسيد علاقة تحدوها " الشعور بالقصور" و يصور " سارتر" موقفه السياسي بموقف الفرنسي الذي يعيش داخل المستعمرات و الذي يعمل على تحطيم نفســـه بنفســـه أي " ليس لنا ممتلكات لكي نتركها"(1).

و هنا يمكن أن نفهم اعجاب " فانون" بـ"سارتر" و أن كان يتمنـــى من هذا الاخير أن يلتزم أكثر بقضية الجزائر و بطبيعة الحال اعجاب " سارتر" بمفكرنا حتى أنه ، لما طلب منه وضع مقدمة لكتاب " معذبو الارض"، اعتبـــر

---

(1) Sartre , "le Cololnialisme est un systeme" les temps modernes, N° 123, MARS _ AVRIL, 1956, P 1371.

طابعه هذا شرفا لم يكن له سابق، و قبل هذا ، نشرت مجلة " الازمنة المعاصرة" سنة 1959، فصلا كاملا من فصول " الثورة الجزائرية في عامها الخامس" الذي تناول موضوع " الاقلية الاروبية في الجزائر" كما أنها عملت في عدد : ماي - جوان 1959 علـــى نشر قضية المحامي الجزائري " ولد عاودية" الذي أغتالته فرنسا ، كما نشرت سنـــة 1958 لا نحة باسم حقوق الانسان يرفض فيها بعض المفكرين وسائل التعذيــــب المستخدمة في الجزائر و من ضمن الذين وقعوا عليهـــــا :

"أندري مالرو A. MALRAUX "، " روجي مارتان R. MARTIN "

" فرانسوا مورياك F. MAURIAC " و " سارتر SARTRE " و أخرون.

و لم تكن هذه الظواهر مجرد أحداث معزلة ، فهي كافية لايقاض ضميـــــر الفرنســــي و وعيــــه .

و بواسطة مجلة " الازمنة المعاصرة" ، أصبح الفرنسي يعرف أن الكرامـــة وحق الشعوب المضطهدة في العيش الكريم ليست مساومة حضارية أو ثقافيــــة بل واقع يجب العمل على تجسيده في أرض الجزائر ، و الا كما يقـــــول " هـ. علاق H. ALLEG " ، مخاطبا الفرنسيين " يجب أن يعلم كل واحــــد منكم ما يصنع هنا ، انما هو باسمكم" (1).

و عليه ، سيكون الاختيار لا محالة حتميا، اما العدالة و اما الوطـــــن الام،غير أن " كامو CAMUS "، علمته الجزائر الشقاء، بمعنى أنهـــــا لم تعلمه شقاء " الاهالي " و ما يربطه بالجزائر ، ليس حبه للانسان، بل شمسهـــا و بحرها و رمالها ، وحل أزمة الجزائر ، هو الحـــــــــل

---

(1) ALLEG (HENRI) La question , Edition de minuit, Paris [illegible], P 111

الفيدرالي، أي وجوب التعايش السلمي بين الطرفين المتحاربين يضمن لهما الحقوق الكاملة، و لما فرض عليه الاختيار أجاب قائلا : " ها أنا قد أخترت ! أخترت جزائر العدالة حيث يلتئم العرب و الفرنسيون بحرية ...." (1).

ان تعلق " كامو" بالجزائر، يعني من منظوره بقاء الاستعمار من أجل شمس الجزائر و طبيعتها الخلابة، و واضح أنه لا يريد للجزائري حريته، و الادهى في هذا كله هو تبنيه عنف المقاومة الفرنسية أثناء الحرب العالمية الثانية و هو يحارب ضد النازية، في حين لا يقيم له وزنا في حرب الجزائر (2) "

انه لمن الصعب أن نشير الى الدور الذي لعبته مجلة " سارتر" في الثورة التحريرية و رغم عدم اداتها علينا للنظام الاستعماري، فقد استطعات تبني فكرة استقلال الجزائر.

و هكذا، نلاحظ أن اليسار الفرنسي لم يقم بواجبه في نطاق حرب الجزائر حتى أنه أثار بموافقة " العنصرية" سخط الاشتراكية الدولية في موءتمر " تولوز TOULOUSE سنة 1957 (3).

يتضح لنا، أن ما تريده الحركة الوطنية من الاحزاب السياسية الفرنسية هو حث فرنسا على الاعتراف بحق الجزائر في تقرير مصيرها، و لم يكن ذلك ممكنا لما لهذا الاعتراف من انعكاسات على مستقبل المستعمرات الفرنسية خاصة لما يتعلق الامر بالاقليات الاوربية و المعمرين الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أبناءا للجزائر، فكيف كان موقف " فانون" و الثورة الجزائرية من مشكلة الاقلية الاوربية "؟.

---

(1) Camus (Albert), ed GUALLIMARD T II PARIS 1956, P 984.

(2) Voir lettre datée de fresnes, 10 Juin 1959, dans lettres de prison de Dr TALEB EL IBRAHIMI 1957 - 1961 P 59 - 60.

(3) فانون، من أجل افريقيا، ص 76.

فانون و الاقليــــــــــــات الاوروبيـــــة :

نظرا للصفة الاجتماعية التي كانت تشكلها الاقليات الاوروبية و المعمرين، أتخذت اللجنة الموجهة في حركة انتصار الحريـــــــــات الديمقراطيـــة سنة 1953 - أي قبل اندلاع الثورة التحريريــــــــة قرار الاتصــال بالمستوطنين الاوربين و ممثلي الاقليات الاوروبية، و قد استجــاب الجزائريون الاوروبيون" لندائها، لكن أثناء اندلاع الثورة المسلحة، لـــــم يكن موقفهم واحدا.

فاليهود مثلا، الذين كانوا يشكلون خمس سكان الجزائر مــــن غير المسلمين - على حد تقدير فانون - نجد مواقفهم تختلف باختلاف الجماعــــات اليهودية، و يمكن أن نصنفهم الى جزئين : جزء ربط مصيره بالنظام الاستعماري و يتمتع بالجنسية الفرنسية، و غالبا ما نجدهم تجارا أو اطارات في الادارة الاستعمارية أو في جهاز الشرطة، و الى جانب هذه الطبقة " الكتلـــــة المستعربة" الذين أدمجتهم فرنسا في تعداد السكان الاصليين و بحكـــم لغتهم و لباسهم و تقاليدهم، يعتبرون أنفسهم جزائريين.

و ما يميز اليهودي الفرنسي عن اليهودي العربي، الوضعيــــن الاجتماعي و الثقافي، و على أساس هذين المعيارين، لم يكن لليهـــــودي العربي الحق في الجنسية الفرنسية و ان كانت تشريعات المستعمر الفرنسي القانونية تخول لهم هذا الحق.

و قد أظهر اليهود العرب من أطبــــاء و مثقفين مساندتهـم للقضية الجزائرية، و في سبتمبر من سنة 1956 كتب فريق من يهود "قسنطينة" رسالة و قد أعـــــاد " فانون" نقلهـــــا فــــي فصـــــل

" الاقلية الاوروبية في الجزائر " و مضمونها أن " الانقسام كان و سيبقى بين اليهود و المسلمين مناورة من أكبر مناورات الاستعمار اساءة للجزائر (1)".
أي أن فرنسا كانت تعمل دائما على تغذية احقاد اليهود ضد المسلمين الجزائريين.لكن أليس اليهود و المسلمون أبناء أرض واحدة ؟.

في بيان جانفي من سنة 1957، يعلن مكتب اتحاد اليهود في الجزائر تعلقهم بالامة الجزائرية " (2)، و قد انظم بعضهم في صفوف الجيش، لكن هذا الجزء من اليهود لا يمثل الا الاقلية منهم، لذا كانت جبهة التحرير الوطني تأمل دائما " أن يتبع أكثر عدد منهم طريق الذين استجابوا لنداء الوطن " (3).

و لم تنصب اهتمامات جبهة التحرير الوطني على اليهود فقط ، بل سرعان ما أدركت دور المعمرين في الثورة التحريرية الذين كانوا يشكلون قوة اقتصادية، فالثورة تفترض نظريا اقامة ثورة اشتراكية و بهذا المعنى، هي ضرب لمصالح المعمرين أي الغاء الملكية الخاصة للاراضي ووسائل الانتاج مع - بطبيعة الحال - استيلاء الشعب على السلطة هذا الموقف هوالذي حال دون امكانية اكتساب المعمرين و ضمهم في صفوف الثورة، و خاصة اذا كنا نعلم أن عدد كبار ملاك الاراضي يتجاوز 25000 معمر.

و من هنا، كان لا بد لجبهة التحرير الوطني أن تضع اطارا سياسيا توضح فيه موقفها من الاقليات الاروبية بشتى أشكالها. و تحدد في موءتمر الصومام سنة 1956 موقف الجبهة بادماج الاقلية.

---

(1) فرانتز فانون، سوسيولوجية ثورة، ترجمة ذوقان قرقوط، دار الطليعة، بيروت الطبعة الاولى 1970، ص 162.

(2) فرانتز فانون، م س ، ص 163

(3) فرانتز فانون ، م س ، ص 162

داخل الاكثرية (1)، و قد أكد على هذا الموقف رئيس الحكومة المؤقتة " فرحات عباس F. ABBAS " سنه 1962 مثلا " أن الثورة الجزائرية تؤكد مرة أخرى أن الاقليات الاروبية جزائرية " (2)، و تقدم أنهم جزء من الشعب الجزائري، و اذا حللنا كلمة " شعب " الى عناصرها الثقافية و الحضارية و التاريخية يكون المشكل في صعوبة اعادة ادماج هذه الاقليات داخل مجتمع له خصوصياته كالعادات و التقاليد و الدين و اللغة .

و اذا نظرنا الى المشكل من زاوية أخرى فما هو النظام السياسي الذي يحمي ممتلكات المعمرين و يعمل على تحقيق ادماجهم ؟

تؤكد قرارات الصومام كما نقلتها جريدة " المجاهد" السرية بديمقراطية الدولة الجزائرية بعد الاستقلال وشعبيتها كما نلاحظ في عدد المجاهد المؤرخ ب 29 جانفي 1959 قيامها على أساس مبادىء اسلامية ، مما يفتح مجالا للتساؤل : هل الشخصية العربية الاسلامية شرط من شروط الحصول على الجنسية الجزائرية ؟

من الناحية القانونية ، الجنسية الجزائرية حق لكل من يريدها شريطة أن يكون رديفا للثورة الاشتراكية و العمل على تحقيقها . و عندها بالذات يدخل " قانون" في تناقض مع مواقف جبهة التحرير الوطني حيث لا يتحقق التجانس الاجتماعي في نظره بين الجزائري و الاقليات الاروبية ،

---

(1) " Le F L N et la question de la minorité eropéene"
El MOUDJAHI, Vol 3 n°77 29 Janvier 1961 P 396.

(2) " Les minorités en Algerie" El Modjahid, Vol 2,N° 50
14 SEPTEMBRE 1959 P 461.

و خاصة منها اليهود الذين كانوا يعملون في صفوف جبهة التحرير الوطني الا في اطار دولة علمانية (ETAT LAIQUE) حتى لا تتسع الهوة بينهما و لا يكون العامل الديني حاجزا أمام اندماجهم .

يبدو، أن تشخيص فانون و هو يكتب عن الاقليات الاوروبية ، عونا في شكله و مضمونه عن كيفية اندماجها داخل المجتمع الجزائري، لكن ما يتجاهله هو الدور الذي لعبه العامل الديني في اندلاع الثورة التحريرية التي استمدت منه دلالتها و فضلا عن ذلك، لم يكن بامكان واضعي برنامج " طرابلس" الفصل بين الدين و الدولة باعتباره الاساس النظري الذي تقوم عليه الدولة .

و في الحقيقة على أساس هذه السمات و الانماط و المقدسات يكون الانتماء الى ثقافة ما .

فانون و المرأة الجزائرية :

ان المرأة الجزائرية تعرف بلباسها الذي هو جزء من شخصيتها ، و اذا كانت في نظر الغير هي المرأة المتحجبة فاننا لا نأتي هنا على وصف الوسط الريفي الذي لا ترتدي فيه المرأة الحجاب.

هذا الحجاب، سيكون مدار معركة تعبيء قوى الاحتلال، اذ استطاع الاستعمار الفرنسي ادراك دور المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية حتى قال عنها " يجب علينا قبل كل شيء اكتساب النساء، و يجب علينا السعي للبحث عنهن خلف الحجاب حيث يتوارين، و في المنازل حيث يخفيهن الرجل " (1)

---

(1) فرانتز فانون ، سوسيولوجية ثورة ، م س ص 21

و آرائه الفكرية ، و أحسن من صور أصول الثورة الجزائرية في الفكر الفانونـــي هو " محمـــــــــد الميلـــــي ".

و هنا يجب أن نتساءل عن دور فانون الحقيقي في الثورة الجزائرية ، ان الدور في حد ذاته لا يمكن الالمام به ، و رغم ذلك، اذا حللنا مواقـــــف بعض المفكرين، فاننا سنجد اتجاهين أو بعبارة أدق موقفين متناقضين فـــي الاساس.

فـ " جان دانيل JEAN DANIEL " مثلا الذي يعرف الجزائر و البعض من ثوارها و الذي كان مديرا عاما لمجلة " النوفيل أوبسيرفاتور " يذهب الى حد القول أن فانون أثر على واضعـي " برنامج طرابلس " (1) بحجة أن محاور " برنامج طرابلس" كانت تتطابـــق مع اهتمامات " فانون"الاخيرة ، كعلاقة الحزب بالدولة ، الحاجة الملحـــــة للتنظيم السياسي، أولوية طبقة الفلاحين و أخيرا التوجيه الاشتراكـــــــي في التخطيط الاقتصادي.

غير أن " محمد الميلي" الذي يعرف "فانون" جيدا يرى بأن كـــل مقالات " فانون" و موءلفاته تعكس الكثير من تأثير الثورة الجزائريـــــــة في فكرة،لكن يوءكد من جهة أخرى قائلا : " ان فانون قدم اسهامـــــــــا هاما داخل الثورة "(2).

و اذا تساءلنا عن طبيعة اسهام فانون من منظور " محمد الميلـــي" فذلك ما لا يمكن معرفته و ليس بعيدا، موقف " رضا مالك" عن موقـــــــف محمــــد الميلــــي الذي تعجب من تأكيدات " جان دانيل J. DANIEL "

---

(1) حوار أجرته " ايران غاندري " مع " جان دانيل" 26 ماي 1970.

IRENE GENDZEIR, OP CT P 254.

(2) الميلي محمد، فرانتز فانون و الثورة الجزائرية ، ص 195.

و هذا بالذات يمكن القول بأن [illegible] " طرابلس " [illegible]
لحركة ديناميكية داخل الثورة، و لم يكن للثورة الجزائرية أن تستمر دون تنظير المصالح الآجلة و العاجلة لها، فالثورة التحريرية مثلا، انطلقت من واقع [illegible] تتحكم فيه ضوابط تاريخية و اجتماعية و ثقافية، لذا صدور " برنامج طرابلس" فرضتها الثورة، و حتى لا تحجب الرؤية الكلية لها، كان لا بد من وضع أطـــر نظرية لهيكلتها، و ليس من الغريب أن تكون قضية علاقة الحزب بالدولـــة و الحاجة لتنظيم الثورة من اهتمامات " فانون"، و خاصة اذا كنا نعلـــم أن الجزائر كانت على أبواب الاستقلال.

لكن أن ينال بعض المفكرين من الثورة من خلال " فانون" يعنـــي أن المثل الاعلى الذي كان يستشرفه و يتطلع نحوه، أشبه بهذا الافق البعيد الذي لا يمكن الوصول اليـــــه .

غير أن اعتبار " فانون " بـ " غريب" " كامو" " CAMUS " هو رفض لمن ساهم بكل ما يملك من وسائل فكرية داخل الثورة الجزائرية و قـــد عبر عن هذا الرفض رجل بأسلوب تهكمي قوله " يجب تطهير الجزائر من الفكـــر الفانوني" (1) " DEFANNONISER L'ALGERIE " و يجب الاشـــارة أن موقفا مثل هذا، يدعو بالتأكيد الى أن جذور الثورة الجزائريـــــــة لم تتحرر من عقال الاعراف البالية و الذهنيات المتخلفة، و من ثمة تقلـــص حدودهـــا الانسانية و أبعادها الخلقيـــــة .

هـــــذا الموقف السلبي تجاه الحركة الوطنية عامة، و فانون خاصة يرفض

---

(1) Cité par I . GENDZIER, FRANTZ FANON, OP CT, P 257.

بعض المفكرين موضحين أهمية البعد الانساني للثورة الجزائرية، و ما يحدد التـــزام " فانون" و الرجال في مثل هذه المواقف " الايمـــان بقيم مشتركة قائمة علـــى أساس عظمـــة الرجال" (1).

و في حوار أجرته " اغاندزي " مع " محمد الميلي" بغية معرفة من هو أكبر منظر للثورة الجزائرية، يدهشنا " محمد الميلـــــي" بهذا القدر المحتوم قائلا :" الشيخ ابن باديس لوعاش الثورة (توفي سنة 1940) أو " فرانتز فانون " لو كان جزائريا " (2).

و رغم تناقضات " محمد الميلي" التي تفتح مجال التساؤل، فان "فانون" لم يكن بامكانه بحكم تكوينه الثقافي أن يقترح تدابير سياسية في بداية الثورة ، لان التنظير الثوري يفرض معرفة ميدانية لواقع الشعوب المضطهدة، و مفارقـــات قانون الثورة ، لا تستلزم بالضرورة استخدام نفس الوسائل التي استخدمتهـــا الثورة الجزائرية مثلا في كل الاوضاع الاستعمارية، و التحرر لا يتطلب استخـــدام العنف في كل الحالات، و " فانون" أستوعب هذه الظاهرة داخل الثورة.

فكيف يمكن اذن أن يكون منظرا للثورة الجزائرية دون معرفة الشروط الموضوعية و الشرائح الطبقية التي تختلف من وضع لاخر ؟

و عليه ، حركة المجتمع الواقعيـــة هي الاساس الموضوعي الذي يفرض

---

(1) MEGHERBI, FRANTZ FANON apôtre de la non-violence, Algerie Actualité 9 - 11 decembre 1971.

(2) cité par I. GENDZIER, FRANTZ FANON? OP CT , P 260.

أساليب الثورة، و بهذا المعنى يكون التنظير الثوري نسبي، فاذا كان العمال هم الذين قاموا بالثورة البلشفية في لاتحاد السوفياتي فهذا لا يعني بأن العمال هم دائما القوى المحركة للثورات، و اذا كان الفلاحون هم أساس حركة الثورة في الجزائر، فهذا لا يعني بالمقابل أن الفلاحين هم دائما ركيزة الثورة، و هكذا تتحول بعض ملاحظات "فانون" الى مصادرات يعتبرها بمثابة حقائق أساسية كما هو الشأن بالنسبة لطبقة الفلاحين.

و الواقع ، أن ملاحظاته بشأن الفلاح و دوره في الثورة، و موقفه من مختلف الطبقات الاجتماعية في الكفاح المسلح و وصفه للانشقاق السياسي بين الاحزاب و أثره على الثورة، مجرد امتداد لاثار الثورة التحريرية. و عليه، نتيجة لعدم امتلاك " فانون " خبرة ميدانية و خاصة أثناء تبنيه قضية الجزائر، فلا يمكن أن يكون منظرا لها.

و لا بأس أن نذكر أن كتاب " بشرة سوداء، أقنعة بيضاء" عبارة عن نظرة فرويدية - ماركسية على ضوء النظرية الهيغيلية لظاهرة العنصرية حيث يريد " فانون" أن يأخذ بيد الرجل الاسود لعلاجه نفسيا من عقده و ذلك للقضاء على الصراع الطبقي أي القضاء على استغلال الرجل الابيض البورجوازي للزنجي، و كسب الزنجي احترام الابيض يكون بتوافق سلوكه مع عادات البيض و تقاليدهم.

لكن نجد " فانون" يقترح في كتاب " معذبو الارض" وسيلة العنف للقضاء على العنصرية كقمع منظم، و بعد ما كان التاريخ مثل الثقافة، لا يلعب أي دور في عملية التحرر، أصبح هذا الماضي و الذي رفضه " فانون" داخل الحركة الزنجية - عنصرا من مجموعة الوسائل في الكفاح المسلح و تكون الثورة الجزائرية هي التي أوحت له بأن الكفاح يعني اعادة رد اعتبار ثقافة الشعوب المظطهدة و ماضيها، فكيف يمكن لـ " فانون" أن يكون منظرا للثورة الجزائرية و هو يبحث في اطارها عن حل عملي لمشكلة الزنوجة ؟

الخلاصـــــــــــــة

لقـــــد مكنت الثورة الجزائرية " فانون" اكتساب ممارسة ميدانيـــــة من خلال مختلف ما بوأته له من مسوءوليات داخلها و ذلك ابتداء من عملـــــه الطبي في صفوف جيش التحرير الوطني الى جريدة " المجاهد " السريـــــة الى تمثيل الثورة في المؤتمرات الدولية كسفير لها، الشيء الذى جعلـــــه يكتشف في أرض الجزائر دور الثقافة الوطنيـــة و ماضيهـا ضد المسخ الثقافـــي و العنف كوسيلة من وسائل التحرر و التغيير.

و سرعان ما ظهرت هذه الاثار في كتاب " معذبو الارض" ، الذي يسجـل في الحقيقة التأثير الذي أحدثته الثورة الجزائرية في فكره بصفة عامة .

و بهذا الاعتبار، يمكن القول أن كتابه الاخير يعكس تطور الفكر الثوري عنده متفاعلا مع الثورة الجزائرية و ملابساتها (1).

---

(1) محمد الميلي ، فرانتز فانون و الثورة الجزائرية ، ص س ، ص 196.

ملحـــــــــــــــــــــق

1925 20 جويليا ، ولد فانون بـ " فور روفرانس " FORT DE FRANCE

(المارتنيك) MARTINIQUES

1943 التحاق فانون بالقوات الفرنسية الحـــــــرة

1946، 1947 : يتقدم فانون الى امتحان البكالوريا في ثانوية من ثانويات " فورروفرانس"

في نفس السنة ، ذهب الى " باريز" و " ليون" لدراسة الطب.

1951 ينهي فانون دراسته العليا ، و يتزوج في نفس السنة بالفرنسية OSIE DUBLE

التحق في الصيف بمستشفى " سان ألبان " لتحضير رسالة جامعية تحت اشراف

الاستاذ " طوسكيل TOSQUELLES ".

1952 يكتب " بشرة سوداء ، أقنعة بيضاء".

1956 طرد فانون من الجـــــــــــزائر

1958 يساهم في كتابة سلسلة من المقالات في جريدة المجاهد " السرية".

في نفس السنة ، يكتب فانون " سوسيولوجية ثورة"

و هذا يوضح فانون سبب اندماجه في الثورة الجزائريـــــــــــــة

1959 أصيب بجروح خطيرة في حادث سيارة قرب الحدود التونسية ـ الجزائرية

1960 عين كسفير للحكومة الموقتة في غانا ، نفس السنة التى أصيـــــــــــــب

فيها بمرض سرطان الدم .

1961 ذهب الى احدى مستشفيات موسكو ، ثم عاد الى تونس .

بدأ في تحرير كتاب " معذبوالارض".

ـ 6 ديسمبر من نفس السنة ، توفي فانون في أحد مستشفيات واشنطن تحت لقـــب

(عمـــــــر).

ـ اقتبست هذه المعلومات من مجلة " SANS FRONTIERES "

الصادرة بمدينـــــــة بــــــــاريــــز.

الامير خالد	.34
ابن جلول	.34
جورج طرابيش	.46
عبد الرحمن بدوي	.67
فرحات عباس	.79
كاتب ياسين	.12
رضا مالك	.83
مالك حداد	.12
محمد الديب	.12
محمد الميلي	.85.83.69.16
محمد يازيد	.83
مصالي الحاج	.58.35

فهـــــــرس الاعـــــــلام الاجنبيـــــــة

المصـــــــــــادر

+.+.+.+.+.+.+.+.+.+.++.+.+.+.+.+.+.+.+

- قائمـــة مصادر " فانون" بالعربية و الفرنسيـــــــة

- فانون (فرانتز) ، من أجل افريقيا، ترجمة محمد الميلي ، المطبوعات الوطنيـــة الجزائرية ، الجزائر 1966.

فانون (فرانتز)، سوسيولوجية ثورة ، ترجمة ذوقان قرقوط ، دار الطليعة ببيروت 1970.

- فانون (فرانتز فانون) معذبو الارض، ترجمة سامي الدروبي و جمال الاتاســـي دار القلم، بيروت ، 1972.

FRANTZ FANON, Peau Noire, masques blancs, col point, ed seuil Paris 1975.

FRANTZ FANON, Pour la révolution africaine, MASPERO 2eme édition Paris 1975.

FRANTZ FANON, Sociologie d'une révolution, MASPERO Paris 1972.

FRANTZ FANON, Les damnés de la terre, MASPERO, Paris 1978.

المـــــراجـــع و القـــواميـــــس

.+.

أ) قائمة المراجع و القواميس العربيـــة :

- أبو عمران الشيخ جان سرفبييه و ثورة أول نوفمبر 1954، مجلة الاصالة العدد 22 الجزائر 1974.
- بيير فيـــــو العنف و الوضع الانساني،في المجتمع و العنف، ترجمة الاب اليـــاس زحلاوي و مراجعة أنطوان مقدسي، منشورات وزارة الثقافة و الارشـــاد القومي، دمشـــق 1975.
- جاك ووديـــــس نظريات حديثة حول الثورة، ترجمة محمد مستجير مصطفى،الجـــــزء الثاني،دار الفارابي،بيروت،1978 .
- جميل صليبـــــا المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني بيروت 1971.
- جورج طرابيـــــش الاستراتيجية الطبقية للثورة، الطبعة الثانية دار الطليعة بيروت1979.
- عبد الرحمن بدوي موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني، الطبعة الاولى بيروت 1985.
- عبد الرحمن حيفري فرانتز فانون، منشورات وزارة الثقافة و السياحة الجزائر، 1985.
- عبد الفتاح الديدي الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، دار القومية للطباعةو النشـــر القاهـــرة 1966.
- فريدة النقـــاش السود و العنف في أمريكا، مجلة الاداب البيروتية عدد جويلية 1971.
- فيليب برنـــو العنف و علم الاجتماع، في المجتمع و العنف، ترجمة المياس زحلاوي و مراجعة أنطوان مقدسي، منشورات وزارة الثقافة و الارشاد القومـــي دمشـــق 1975.
- محمد الميلـــي فرانتز فانون و الثورة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيــــع الجزائـــر 1973.

ميشـــال كورنـــاتون جذور العنف الحيوية و النفسية و الاجتماعية في المجتمـــع و العنف، ترجمة الاب الياس زحلاوي و مراجعة أنطوان مقدسي منشورات وزارة الثقافة و الارشاد القومي دمشق 1975.

هيغـــــــــــــــل مبادىء فلسفة الحق، ترجمة تيسير شيخ الارض منشورات وزارة الثقافة دمشـــق 1974.

يحيى بوعزيـــــــــــز ثورات الجزائر بين القرنين التاسع عشر و العشرين، دار البعث قسنطينة 1980.

ب) قائمة المراجع و القواميس بالفرنسية :

ALLEG (Henri), La question, édition de minuit, Paris 1958.

BIROU (Alain), Vocabulaire des sciences sociales, les éditions ouvrieres, Paris 1966.

CAMUS (Albert), Les essais éd.Gallimard Tome II, Paris 1965.

CAUTE (David), Frantz Fanon, maîtres modernes, col-seghers Paris 1970.

CHIKH (Slimane), l'Algerie en armes ou le temps des certitudes, O.P.U. Alger 1980.

DIOP (ALIOUNE), La personalité négro-africaine, in, Présence africaine, 2eme trimestre, 1962.

GHANDI (La non- Violence éditions STOCK, Paris 1973.

GENDZIER (Irene) Frantz Fanon, l'histoire immédiate, éd, Seuil traduit par Edouaed Deliman Paris 1976.

GIRAUD (Michel) Portée et limites des théses de Frantz fanon sur la violence, in Memorial International Frantz Fanon. éd, Présence africaine, DAKAR 1984.

KADDACHE(Mahfoud), Histoire du Nationalisme algerien, question national et politique algerienne (1919 - 1951)Tome II, S N E D Alger , 1980.

KESTELOOT(LILYAN) Anthologie négro-africaine, colMARABOUT, VERVIERS 1978.

KESTELOOT(LILYAN) Les ecrivains noirs de langue française, naissance d'une littérature, éd de l'institut de sociologie; université libre de BRUXELLES 1971.

LUCAS (Philippe) Sociologie de Frantz Fanon, contribution à une anththro-pologie de la libération S N E D ALGER 1971.

LALANDE(Andre) Vocabulaire technique et critique de la philosophie, P U F 12 eme édition PARIS, 1976.

MARX-ENGELS Manifeste du parti communiste, classique du marxisme, éditions sociales, PARIS 1972.

MAO (TSE TOUNG) Rapport sur l'enquête menée dans le HOUMAN à propos du mouvement payson éditions en langues étrangéres, PEKIN1967.

MEGHERBI(Abdelghani) Frantz Fanon, apôtre de la non-violence, Algerie Actualité 5 - 11 décembre 1971.

NGHE (Nguyen) Fanon et les problémes de l'indépendance, in. la pensée N° 107, 1963.

NIETZSHE (F) Ainsi parlait zarahoustra, col idées traduit de l'Allemend par maurice de condillac PARIS 1971.

SARTRE (J.P) Critique de la raison dialectique, gallimard, PARIS 1960.

SARTRE (J.P) Le colonialisme est un systéme, les temps modernes, N°123 mars avril 1956.

SEMIONOV(NIKOLAI) Les théries de la violence dans la lutte idéologique, éditions du progrés MOSCOU 1980.

SOREL(GEORGES) Réflexions sur la violence , librerie MARCEL riviere et Cie, 11eme éd, PARIS 1950.

TALEB(Ahmed IBRAHIMI), Lettres de prison; S N E D ALGER 1970.

ZAHAR (RENATE) L'ouevre defrantz Fanon, éd, MASPERO PARIS 1970.

مقـــــالات من جريـــــدة المجـــــاهـــــد

- Les minorités en Algerie, El MOUDJAHID , volume 2, N° 50 14 Septembre 1959.

- Le F.L.N. et la question de la minorité européene, EL MOUDJAHID, volume 3, N° 77, 29 Janvier 1961.

فهرس المصطلحات

ASSIMILATION CULTURELLE	الاندماج الثقافي
ESCLAVAGISME	الاسترقاق
LES PIEDS NOIRS	الاقدام السوداء
MASQUES BLANCS	الاقنعة البيضاء
L'HOMME NOUVEAU	الانسان الجديد
PRAXIS ABSOLUE	البراكسيس المطلقة
S'EMBOURGEOISER	التبرجز
COEXISTENCE PACIFIQUE	التعايش السلمي
REVOLTE	التمرد
MOUVEMENT DE NEGRITUDE	الحركة الزنجية
LA DYNAMIQUE DES RELATIONS SOCIALES	ديناميكية العلاقات الاجتماعية
SURREALISME	السريالية
LUMPENPROLETARIAT	حثالة البروليتارية
PHENOMENOLOGIE	الظاهراتية
COMPLEXE DE COULEUR	عقدة اللون
VIOLENCE	العنف
THANAROS	غريزة الموت
INTENTIONALITE	القصدية
LIBIDO	الليبيدو
EROS	لذة الحياة
NON - VIOLENCE	اللاعنف

فهـــــــرس الموضوعـــــات